وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جَامِعَةُ زَيَان عَاشُورْبِالجَلْفَةِ

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

قِسْمُ التاريخ وعلم الاثار

مداخل القصور
قلعة بني حماد دراسة نموذجية
-أثرية فنية تحليلية -

مذكرة مقدمة لنيل متطلبات شهادة الماستر في الاثار الإسلامية

إعْدَاد الطَالب:
حوة بن حسين

إشْرَاف:
أ د/ ذيب بديرينة

الموسم الجَامِعِي: 2022/ 2023

مقدمة :

يعتبر التاريخ الرسمي لقيام الدولة الحمادية هو عام (408هـ، 1017م) وتعد الفترة الممتدة من سنة (395هـ – 408هـ، 1004م – 1017م)، الفترة الحاسمة التي تمخض فيها قيام الدولة، حيث إستطاع حماد بوسائل متعددة في هذه الفترة أن يظهر على الساحة التاريخية من خلال الأحداث كرجل حرب، جدير بقيادة دولة ينفرد بها وحده وتكون لأبنائه من بعده،

و لقد فرضت شخصيته على دولة الزيريين أن يستعينوا به في القضاء على مشاكلهم الداخلية والخارجية، وعندما حانت الفرصة وكان ذلك سنة (395هـ /1004م) و بتأثير التحديات التي كان يقابلها الزيريون استطاع أن يفرض شروط معاهدة تقضي بتأسيس دولة له ولبنيه.

وتعتبر قلعة بني حماد مركز للحضارة الحمادية ، فقد عرفت خلال القرن الخامس هجري الحادي عشري ميلادي ، إشعاعا كبيرا على المستويات الثقافية والعلمية والاقتصادية فقد حاول حماد بن بلكين من ذ تأسيسها بذل قصارى جهده لجعل قلعته منارة وقبل والعلماء ليحقق حلمه الأكبر في تشكيل دولة كبيرة تمتد إلي القيروان شرقا وفأس غربا.

وهي من بين الشواهد الأثرية المهمة في المغرب العربي ، و من ابرز المدن التي عرفت نشاط عمراني واقتصادي ، وهي من شواهد التاريخية الماثلة إلى يومنا هذا .والتي عبرت عن ازدهارها . وتم تصنيفها من قبل منظمة " اليونسكو " ضمن نفائس التراث الإنساني .وتقدم صورة حقيقة للمدينة الإسلامية المحصنة

تتميز قصور الحمادية في الجزائر بأسلوبها المعماري الفريد، الذي يعكس ثقافة وحضارة المنطقة. ومن أهم عناصر هذا الأسلوب المعماري مداخل القصور، التي تتميز بتصميمها الفريد وزخرفتها الرائعة.

تعود قصور الحمادية إلى القرن الثالث عشر الميلادي، وقد بنيت في عهد الدولة الحمادية، التي حكمت الجزائر من القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر الميلادي. وقد لعبت هذه القصور دورًا مهمًا في تاريخ المنطقة، حيث كانت مراكز سياسية واقتصادية وثقافية.

كما تتميز مداخل قصور الحمادية بتصميمها الفريد، الذي يجمع بين العناصر الهندسية والزخرفة. وقد تم بناء هذه المداخل باستخدام مواد محلية بسيطة، مثل الطين والحجر، ولكن تم تصميمها بعناية لتكون مقاومة للظروف المناخية القاسية في الصحراء.

2-أهمية الموضوع:

تكمن أهمية موضوع مداخل قصور الحمادية في عدة نقاط، منها:

- **القيمة التاريخية** :تعود مداخل قصور الحمادية إلى القرن الثالث عشر الميلادي، وقد لعبت دورًا مهمًا في تاريخ المنطقة، حيث كانت مراكز سياسية واقتصادية وثقافية.

- **القيمة الفنية** :تتميز مداخل قصور الحمادية بتصميمها الفريد وزخرفتها الرائعة، التي تعكس ثقافة وحضارة المنطقة.

- **القيمة العلمية** :تعد مداخل قصور الحمادية مصدرًا مهمًا لدراسة العمارة الإسلامية في شمال إفريقيا.

وبناءً على هذه النقاط، يمكن القول أن موضوع مداخل قصور الحمادية يعد من الموضوعات المهمة التي تستحق الدراسة والبحث، حيث يساعد على فهم تاريخ وحضارة المنطقة، ودراسة العمارة الإسلامية في شمال إفريقيا.

3-أهداف الموضوع :

يمكن حصر أهداف موضوع مداخل قصور الحمادية في عدة نقاط، منها:

- **فهم تاريخ وحضارة المنطقة** :تعود مداخل قصور الحمادية إلى القرن الثالث عشر الميلادي وقد لعبت دورًا مهمًا في تاريخ المنطقة، حيث كانت مراكز سياسية واقتصادية وثقافية. وتعد هذه المداخل من أهم العناصر الباقية من هذه الفترة التاريخية، مما يجعلها مصدرًا مهمًا لدراسة تاريخ المنطقة.
- **دراسة العمارة الإسلامية في شمال إفريقيا** :تعد مداخل قصور الحمادية مصدرًا مهمًا لدراسة العمارة الإسلامية في شمال إفريقيا. حيث تساعد على فهم تطور هذا الفن وخصائصه في المنطقة.

- **المحافظة على التراث الثقافي** :تعد قصور الحمادية من أهم المعالم التاريخية والثقافية في الجزائر. وتعد دراسة مداخل هذه القصور من أهم طرق الحفاظ عليها، حيث تساعد على فهمها وتقديرها.

وبناءً على هذه الأهداف، يمكن القول أن موضوع **مداخل قصور الحمادية** يعد من الموضوعات المهمة التي تستحق الدراسة والبحث، حيث يساعد على فهم تاريخ وحضارة المنطقة، ودراسة العمارة الإسلامية في شمال إفريقيا، والحفاظ على التراث الثقافي.

4-اسباب اختيار الموضوع:

وقد جاء إختيارنا لموضوع " **مداخل القصور الحمادية بالقلعة "دراسة أثرية معمارية** "

لعدة دواعي وأسباب ولعل من أبرزها ما يلي :

– محاولة الكشف عن تاريخنا في العهد الحمادي، للوصول إلى فك بعض الأقاويل والشكوك التي تراودنا حول طبيعة المنطقة

–الرغبة في التعرف أهم المعالم التاريخية والثقافية في الجزائر

– الرغبة في خوض غمار الكتابة في العمارة الاسلامية آنذاك وتطور فن الزخرفة والهندسة وحضارة المنطقة

5-اشكالية الموضوع:

كما هو مألوف لا يخلو أي بحث تاريخي علمي من إشكالية عامة لموضوع ما ويستطيع المامه بجميع جوانبه، وكانت إشكالية موضوع الباحث الإجابة عنها من خلال توسعه في المذكرة " **كيف كانت مداخل القصور الحمادية بالقلعة ؟**

وعلى ضوء هذه الإشكالية العامة يتبادر إلى ذهنا مجموعة من التساؤلات الفرعية المتمثلة فيما يلي:

-فيما تمثلت جذور الدولة الحمادية؟ وما الدوافع التي أدت إلى تأسيسها ؟ ماهية الأدوات وتقنيات البناء والزخرفة للمباني ؟ وفيما تميزت مداخل القصور الحمادية؟

6-تقسيم الموضوع:

وبناءا على هذا وحسب المادة التي بين أيدينا إعتمدنا على منهجية مقسمة إلى مقدمة، وثلاثة فصول وخاتمة وملاحق

الفصل الاول: جاء بعنوان الاطار الجغرافي والتاريخي عن الدولة الحمادية

الفصل الثاني : الادوات وتقنية البناء والزخرفة للمباني الحمادية

الفصل الثالث: أهم مداخل القصور الحمادية (دراسة معمارية تحليلة)

7-المنهج المتبع :

وقد إعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج التاريخي الوصفي وذلك من خلال سرد الأحداث ووصفها، مع التحليل في بعض الأحيان قصد الإجابة عن التساؤلات المطروحة، وبغية الوصول إلى الحقيقة التاريخية.

8-أهم المصادر والمراجع المعتمدة:

أ- **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر** ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لابن خلدون.

يتناول ابن خلدون في كتابه هذا تاريخ الدولة الحمادية، ويقدم معلومات مهمة عن قصور الحمادية، بما في ذلك:

- **موقع قصور الحمادية**
- **تاريخ بناء قصور الحمادية**
- **تصميم قصور الحمادية.**
- **أهمية قصور الحمادية**

***كتاب "قلعة بني حماد ووجهتها في العصر الوسيط دراسة منوغرافية** "هو كتاب من تأليف عبد الغني حروز، صدر عام 2017. يتناول الكتاب دراسة قلعة بني حماد من الناحية التاريخية والحضارية، ويقدم دراسة شاملة للسياق التاريخي والحضاري الذي نشأت فيه القلعة، ودور القلعة في ازدهار الدولة الحمادية.

كتاب "أثر الحصينات العسكرية الحمادية في تأسيس الدولة والحفاظ على استمراريتها "هو كتاب من تأليف **هيصام موسى،** صدر عام 2022. يتناول الكتاب دراسة الحصينات العسكرية الحمادية من الناحية التاريخية والعسكرية، ويقدم دراسة شاملة للدور الذي لعبته هذه الحصون في تأسيس الدولة الحمادية والحفاظ على استمراريتها.

كتاب **البلدان لياقوت الحموي(627ت):**مصنف جغرافي يحتوي على مجموعة من الأوصاف التي شاهدها وزارها ،يقسم هذا المصنف إلى خمسة أجزاء ،مرتبة حسب حروف اللغة العربية ،و قد أفادنا هذا الكتاب في التعريف ببعض المناطق الجغرافية

الصعوبات:

ولقد واجهتنا خلال مرحلة البحث مجموعة من الصعوبات والتي يمكن حصرها فيما يلي:

- صعوبة الوصول إلى بعض المراجع المتخصصة في الموضوع.
- كثرة الأحداث و إختلاف الآراء بين المؤرخين حول تاريخ المنطقة في العهد الحمادي مما جعلنا غير قادرين على التحكم في الموضوع
- نقص المراجع التي تناولت الموضوع في المكتبة الجامعية
- عدم توفر المادة المكتوبة ورقيا وهذا ما إضطرنا إلى الإعتماد على الكتب الإلكترونية، ومن سلبياتها عدم ظهور الكتابة جيدا خاصة منها المصادر.

ورغم كل الصعوبات إلا أننا إستطعنا أن ننجز هذه المذكرة بعون الله تعالى، وكذا توجيهات به أستاذنا .....الذي كان إلى جانبنا، بنصائحه وتوجيهاته، ونأمل أننا وفقنا في هذا البحث المتواضع قيد الدراسة، ونكون عند حسن ضن أساتذتي الذين يطلعون عليها

المبحث الأول : نشأة الدولة الحمادية وظروف تأسيس القلعة

أولا : الموقع لدولة الحمادية

قلعة بني حماد أو كما يطلق عليها في بعض المصادر قلعة أبي الطويل . هي قلعة واسعة تتميز بالحصانة ، والمناعة ، ظهرت على الساحة بعد سقوط القيروان [1]

لم تكن معالم حدود الدولة الحمادية مستقرة، حيث كانت تتمدد و تتقلص حسب الظروف السياسية والعسكرية التي تمر بها بلاد المغرب، وفي أقصى إتساع لها، إمتدت من فاس ومشارف وهران مرورا بالتنس غربا إلى بونة والأوراس شرقا ، إظافة إلى تونس والقيروان و صفاقس والجريد، ومن جزائر بني مزغنة وبجاية شمالا، إلى الزاب و ورقلة وبسكرة جنوبا[2].

شهدت ازدهار كبير كبيرا مما جعلها قبلة لطلبة العلم والرحالة ، والقوافل التجارية، حيث ذكرى البكري بأنها أصبحت عاصمة للملكة الصنهاجية ، تحصن بها مخلد كيداد اليفيريني3 الذي قام بثورة صاحب الحمار من إسماعيل الداخل[3].

---

[1] هي قاعدة بلاد الإفريقية وأم مدائنها كانت أعظم مدن المغرب . أنظرها ،وأكثرها شبرا ،وأسيرها أموالا ،وأحوالا ، وأربحها تجارة ،وأكثرها جباية ، افتتحت في زمن معاوية على يد عقبة بن نافع سنة 50هـ للمزيد أنظر : الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ص . 48

[2] De planhol Xavier, Les fondements géographiques de l'histoire de l'islam,flammarion, edition paris, 1968, p 133

الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم و تصحيح محمد الميلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، بدون سنة، ج 2 ، ص ص 234، 235

[3] ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ب ت، ج ،4ص 389. 390

إتخذ حماد[1] مدينة القلعة، كأول كيان سياسي لدولته، ودولة أبنائه من بعده، و بنى فيها قلعته المشهورة بقلعة بني حماد قلعة أبي طويل)، على منحدر وعر فوق سفوح جبل كتامة المعروف

حاليا بجبل المعاضد، كما يسمى أيضا بجبل تقربوست[2] ، والذي يصل ارتفاعه الى 1418م[3]، من مجموعة جبال الحضنة التي تشكل الأطلس الصحراوي، وتقع هذه المدينة على بعد 36 كلم شمال شرق المسيلة.[4]

ويرجع إختيار حماد لهذا المكان، لأن المدينة محمية طبيعيا بالجبال التي تشرف عليها من الشمال، الإكفاء الاقتصادي الذي توفره لها السهول التي تمتد أمامها إلى الجنوب،

1 هو حماد بن بلكين بن منقوش الصنهاجي، كان الرابع في ترتيب أبناء بلكين الصنهاجي، وهو أول أمراء هذه الأسرة، لقد انفرد بحكم معظم أجزاء الجزائر الحالية، نشأ في بيت الخلافة الفاطمية، درس الفقه بالقيروان، ونظر في كتب الجدل، إضافة لتعلمه فنون القتال والفروسية، وكان على علم بالقرآن الكريم وعلم الحديث، ولكنه لم يكن ميالا لتعلم المذهب الشيعي، كونه مهتما بالجانب القتالي، ظهرت شخصيته على مسرح الأحداث في عهد أخيه المنصور بن بلكين سنة "373هـ" / "983م"، عندما استعان به لقتال ،زناتة، أما عن تاريخ مولده فلم تتطرق إليه معظم الكتب، لكن حسب عبد الفتاح مقلد الغنيمي، قد يكون في "353هـ" أو "354هـ"، أما تاريخ وفاته حسب ابن الأثير فكانت سنة 417 هـ . (أنظر :) مقلد الغنيمي عبد الفتاح موسوعة المغرب العربي ،مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1994 ، م2، ج4، ص 268؛ ضيف شوقي، عصر الدول و الامارات (الجزائر، المغرب الأقصى، موريطانيا، السودان) ، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، ط1، 1919، ص36؛ ابن الاثير (أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني، الجزري الملقب بعزدين)، الكامل في التاريخ، مراجعة و تصحيح محمد يوسف الدقاق، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ج8، ص 157.

2 تعني باللغة البربرية السرح، بمعنى المكان العالي

3 بورويبة رشيد، مدن مندثرة سلسلة فن و ثقافة، وزارة الاعلام والثقافة الجزائر، 1982، ص83.

4بورويبة رشيد : الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص 20

وكذلك موقعها الجغرافي الذي يعد كعقدة مواصلات للمرور بين جبال الحضنة والبيبان من الشمال، وحوض الحضنة من الجنوب، وجبال الاوراس و التيطري من الغرب.[1]

فهي كما وصفها الإدريسي متعلقة بحبل عظيم ، يقابلها من الجنوب أرض سهلة لا تري إلا من مسافة بعيدة [2] .إضافة لاتصالها بسهول الحضنة ، وسهول فسيحة ما جعلها تتميز بمزايا إستراتيجية أكثر من العاصمة الزيرية لان حماد سارع لتحصينها بسكان المسيلة بلاد ولآد حمزة[3]

تشبه في تحصينها لقلعة أنطاكيا ، فيما حكي عليها ،اخططها حماد بن بلكين سنة 370هـ/980م ، بغرض التحصين وهي قريبة من أشير ،من أرض المغرب الأدنى جعلها عاصمة للدولة الحمادية قبل استقلاله عن الدولة الزيرية تقع على مرتفعات التل المشرفة على الطرق التجارية الهامة ، تربط بين ثغر بسكرة بالساحل ، تحصن بها أمراء بني حماد[4]

[1] بوعزيز يحي: موضوعات من تاريخ الجزائر و العرب، دار الهدى للطباعة و النشر والتوزيع، الجزائر،2004،ص35

[2] الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، مجلد الأول ، مكتبه دار الثقافة ، 1422هـ ، ص161

[3] عبد الغني حروز : "قلعة بني حماد ووجهتها في العصر الوسيط دراسة منوغرافية "؛ مجلة الحكمة لدراسات التاريخية ؛ العدد (، 9كانون الثاني . حري ازن ،) 2007ص 240-241

[4] بالعريبي خالد : "البنية العمرانية للمدينة ،" دورية كان تاريخية ، العدد الخامس ، سبتمبر ،2005 ، ص 2

واتسع ملك حماد بعد تأسيس مدينة القلعة، ليشمل كل من أشير وطبنة والقلعة وتاهرت[1] وبلاد الزاب[2]، بعد الصلح[3] الذي عقده مع الأمير الزيري، والذي نص على استقلال حماد وأولاده بهذه المناطق[4]

تعود فكرة تأسيس القلعة إلى حماد بن بلكين وذلك أيام باديس بن منصور ، تبادرت إلى ذهنه فكرة إنشاء قلعة تنافس كل من المهدية والقيروان فاختار لها مكان في اعلي جبل كرانة بكتامة ، وعلى مقربة من ميناء بجاية والمسيلة ، وعلى ملتقي الطرق التجارية ، من بلاد السود الذاهبة للقيروان ، من الجزائر و وهران وتيهرت ، ومن جهة أخرى [5]

[1] هي مدية مشهورة من مدن المغرب الأوسط على طريق لمسيلة من تلمسان وكانت تيهرت فيما سلف مدينتين كبيرتين إحداهما قديمة و الأخرى محدثة ، فالقديمة منها ذات صور على قمة جبل ليس بالعالي وبها ناس وجمل من البربر ولهم تجارة وبضائع وأسواقها عامرة بأراضيها مزارع وضياع أما المحدثة فكان صاحب تيهرت ميمون بن عبد الرحمان بن رستم بن بهرام من ولد سابور ذي الأكتاف الفارسي، وتعاقب مملكة تيهرت بنو ميمون، وبنو إخوته إسماعيل وعبد الرحمان بن رستم إلى سنة 130هـ ، فوصل أبو عبيد الشيعي فدخلها بالأمان ثم قتل فيها عددا كثيرا وبعث برؤوسهم إلى أبي العباس وطيف بها في القيروان (أنظر): الحميري (محمد بن عبد المنعم)، الروض المعطار في أخبار الأقطار، تحقيق إحسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط2، 1980 ، ج 1، ص 126).

[2] من أقاليم الصحراء، يبدأ هذا الاقليم غربا بتخوم مسيلة، يحده من الشمال جبال بجاية، وغربا الجريد التابعة للمملكة تونس وجنوبا ورقلة ومن مدنة المسيلة نقاوس، طبنة بسكرة، تهودة (أنظر ما رمول كربخال، إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1988 1989، ج3، ص 167؛ الحميري، مصدر سابق، ص 281).

[3]: النويري) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)، نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ج 115؛ ابن الاثير ، مصدر سابق، ج 8، ص ص 89، 90)

[4] ابن خلدون (عبد الرحمان) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"، مراجعة سهيل زكار ، دار الفكر الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000 ج6، ص210

4محمد الطمار : المغرب الأوسط في ظل صنهاجة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ،2010ص 92

تقع القلعة على جبل المعاضيد في الجنوب الغربي لسطيف ، تشرف هذه الجبال على سهول الحضنة ، ترتفع حوالي 900م ، فوق سهول الحضنة فهي ذات تضاريس وعرة ، يتجاوز علوها أحيانا فوق مستوى الأرض ، فوق مستوى البحر 1500م[1].

من الجهة الغربية لمدينة توجد مدينة المسيلة التي تسمي المحمدية ، تبعد عنها اثني عشر ميلا ، أما من الجهة الشرقية منها توجد مدينة الغدير وهي مدينة محدثة ،ويحيط بها سورها على مدينة لا يوجد فيها فجوة ، أما من الناحية الشمالية نجدها محصنة تحصينا طبيعيا ، فهي تتواجد في قمة جبل تقرب ست التي ترتفع قمته 1418متر.

كذلك ما كان تابعا لصنهاجة [2] في المغرب الأوسط، أصبح ملكا تابعا للدولة الحمادية، حيث إمتدت شمالا على البحر الأبيض المتوسط، ابتداء من مستغانم إلى غاية بجاية وشرقا خط غير منتظم من بجاية إلى المسيلة، وغربا إلى وادي شلف، وكانت تقوم على هذه المناطق مدن هامة وهي: بجاية، حمزة (البويرة) ، جزائر بني مزغنة مليانة، تنس، وهي حاليا مدن القطر الجزائري[3].

---

[1] GOLIVIN LUNICE :fouilles archéologiques a la qal a des banu hammad inscriptions et belles 106annee ،2،p3.394

[2] هي أكثر القبائل البربرية في المغرب، حتى زعموا انهم يشكلون ثلث شعب البربر ، وكان منهم بنوا زيري بن مناد الصنهاجي أصحاب افريقية، بعد استقرار الفاطميين بمصر، وبني حماد بالمغرب الاوسط بعد الانفصال عن الدولة الزيرية، والملثمون ملوك مراكش و الاندلس. أنظر : السلاوي (أحمد بن خالد الناصري)، الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء ، 1954، ج1، ص 36.

[3] قايد مولود، البربر عبر التاريخ من الكاهنة إلى العهد التركي، ترجمة إبراهيم سعدي، منشورات ميموني، الرويبة، الجزائر، 2007 ، ص 43

ومما يمكن استنتاجه فإن حدود الدولة الحمادية تعرضت للعديد من التغيرات وهذا راجع إلى طبيعة العلاقات السياسية للدولة، إضافة إلى مستوى قدرتها على حماية حدودها والسمة البارزة لهذه الحدود أنها جزء من بلاد الجزائر، وهذا على إمتداد تاريخها الذي دام زمنيا مدة 142سنة، أي في الفترة الممتدة مابين : (405هـ / 1016م، 547هـ/ 1152م)[1].

ثانيا: اصل التسمية

1 – التسمية :

ارتبط اسم الدولة الحمادية باسم مؤسسها حماد بن بلكين (405هـ، 419هـ / 1014م، 1028 م) ، بدءا بالحركة الانفصالية الناجحة، التي قام بها سنة (405هـ ، 1014م)، عن الدول الأم (الزيرية (بعد المكاسب التي حققها كرجل حرب، إذ استطاع بتكليف ابن أخيه باديس بن المنصور سنة (387هـ / 997م) ، من قهره لبطون قبائل زناتة[2] ، حيث

1 مقلد الغنيمي، مرجع سابق، ج4، ص 313

[2] فرع من ضريسة احدى البطون الرئيسية للبتر، من القبائل البربرية المستقرة بلوبيا (طرابلس) منذ القديم اغلب ديارهم بالمغرب الأوسط و الاقصى، خاصة القسم الغربي من المتوسط، مثل وهران و تلمسان، ومن فروعها بني يفرن، مغراوة، بني مانو، بني وركلان ...الخ ، كان لها شان عظيم مقابلا لمكانة صنهاجة في قيام الكثير من الدول. (أنظر : ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص ص 190 191؛ بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية أدوارها مواطنها أعيانها ، دار الكتاب العربي، الجزائر ، 2007 ، ج 1 ، ص ص 248، 264، 271.

كان مؤتمر الصلح الذي تم في(408هـ -1017م) بمثابت تاريخ لميلاد الدولة الحمادية المستقلة في المغرب الأوسط [1]

2 - سكان الدولة الحمادية :

ينحدر سكان الدولة الحمادية من القبائل البربرية التي استوطنت المغرب منذ أقدم العصور، فقد ملاوا مدنة و سهوله و أريافة وجباله[2] ، وفي هذا الشأن يقول السلاوي:" إعلم أن البربر أمة عظيمة ملأت ما بين برقة و البحر المحيط شرقا وغربا و ما بين بلاد السودان و البحر الرومي جنوبا وشمالا، ومع عظمها يجمعها شعبان عظيمان لا يخرج بربري عنهما ".[3]

وقد اختلف المؤرخون في إثبات وطنهم الأصلي، فمنهم من يعتقد أنهم و فدوا من أوربا، و منهم من يعتقد أنهم وفدوا من آسيا، مبررين ذلك بتقارب اللغات السامية بلغة البربرية، مع وجود بعض التشابه في الصفات الجسمانية، و شقرة لون الشعر، و زرقة

[1] بدوي يوسف علي، عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط، دار الأصالة، ط1، 2010، ص 117).

2 ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 116 لقبال موسى المغرب الاسلامي ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط3، 1984، ص 17

3 السلاوي، الاستقصا ، مصدر سابق، ج 1، ص 36

العينين، و بياض الوجه، وهي صفات ما تزال تنطبق على بعض سكان المغرب، كالريف و جبال جرجرة بالمغرب الاوسط.[1]

واتفق المؤرخون على تقسيم البربر الى فرعين (شعبين) هما : البتر والبرانس، فينتسب البتر الى مدغيس بن بر الملقب بالابتر، ولذا يقال لشعوبه البتر، و ينتسب برنس الى برنس بن بر، ولذا يقال لشعوبه البرانس ، وحسب اعتقاد ابن خلدون، فان البتر و البرانس من ولد مازيغ بن كنعان الذي يرتفع نسبه الى حام بن نوح عليه السلام.[2]

وينقسم بربر البرانس إلى سبع قبائل كبرى و هي: كتامة، صنهاجة، عجيسة، مصمودة، أوربة، أزداجة، أريغ، و يضاف إليها لمطة، هسكورة، جزولة، واما بربر البتر فينقسمون الى: ضريسة، نفوسة، أداسة، بنو لواي (لواتة) [3]

وعلى العموم فإن البربر جنس خشن في مظهره الخارجي، وكذلك في طريقة حياته، واشتهروا بعلم العرافة و التنجيم واستقر معظمهم في المناطق الساحلية أو الجبلية الممتدة

1سالم عبد العزيز، تاريخ المغرب العربي الكبير، العصر الإسلامي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ج2، ص134

2 ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 117

3 ابن حزم (أبو محمد بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الاندلسي) ، جمهرة انساب العرب، تحقيق و تعليق عبد السلام محمد ،هارون، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، ط 5، 1919، ص 495؛ السلاوي، الإستقصا، مصدر سابق، ج1، ص 36.

على طول البحر وعاشوا حياة الاستقرار و الزراعة لذلك اشتد ارتباطهم بالأرض، وهذا ما يفسر مقاومتهم للعرب الفاتحين.1

ويمكن التمييز بين القبائل البربرية في عصر بني حماد، من خلال مواطنها المنحصرة في جغرافية الدول الحمادية، ومنه فإن سكان هذه الدولة ينحدرون من:

1 – القبائل البترية : التي تنتشر داخل سهول افريقية، و على سفوح جبال الاوراس، ومن فروعها قبيلة مطماطة الواقعة في إقليم الجريد التونسي، وزناتة التي كان معظم ديارهم بالمغرب الاوسط.

2 – قبائل عجيسة: هي بطن من بطون البرانس ، مجاورة لبطون صنهاجة، مواطنهم بضواحي تونس، والجبال المطلة على المسيلة، ومنهم من يسكنون جبل قلعة بي حمادة2

3 – قبائل صنهاجة: هي أكثر القبائل البربرية في المغرب، حتى زعموا انهم يشكلون ثلث شعب البربر، وكان منهم بنوا زيري بن مناد الصنهاجي أصحاب افريقية، بعد استقرار الفاطميين بمصر، وبني حماد بالمغرب الاوسط بعد الانفصال عن الدولة الزيرية، والملثمون ملوك مراكش و الاندلس.3

1 ليفي بروفسال، الاسلام في المغرب و الاندلس، ترجمة محمود عبد العزيز سالم و محمود صلاح الدين حلمي، راجعه لطفي عبد البديع، مؤسسة شباب الجامعة، 1990، ص ص 256، 257

2 عبد الزيز سالم، مرجع سابق، 139؛ ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص190

3 السلاوي، الإستقصا ، مصدر سابق، ج1، ص 36

ومن أعظم بطونها : بلكانة التي كانت مواطنها مابين المغرب الاوسط و إفريقية، وبنو ملكان بن كرت، التي كانت مواطنها بالمسيلة إلى حمزة إلى الجزائر و المدية و مليانة، كما ينتشر بعضها الآخر بجيهات بجاية وضواحيها.[1]

4 – قبائل كتامة : ينحدرون من كتم ابن بر الذي ينحدر من ،مازيغ، فهم اخوة مع صنهاجة الذين ينحدرون ايضا من مازيغ، وهم من قبائل البربر بالمغرب، وأشدهم قوة و بأسا[2].

واستقرت قبائل كتامة في الحقول الخصبة الممتدة غرب قسنطينة الى غاية بجاية، وجنوبا الى غاية قمم الاوراس، و كانوا يرعون مواشيهم في الرقعة الواسعة، وكان يوجد بينهم الحضر وآخرون من البدو والرحل، وعلى هذا الأساس كانوا يملكون المدن المهمة : كبجاية وسطيف وقسنطينة وسكيكدة و القل و جيجل.[3]

ومن فروع قبائل كتامة قبيلة سدوقيش والتي كانت تستوطن الاراضي الواقعة بين قسنطينة وبجاية، يعيشون في الخيام ويجوبون أراضيهم مع قطعانهم التي كانت تتكون من الجمال و البقر، وكانت نقطة تجمعهم في قلعة بني بوخضرة الواقعة غير بعيدة من قسنطينة، و كانوا منقسمين الى فرعين رئيسيين وهما: بنوا علاوة بن سواق، و بنو يوسف

1 ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص ص 202 ، 203

2 نفسه، ص 195

[3] نفسه؛ قايد مولود، مرجع سابق، ص 31

بن حمو بن سواق، وقد أقام الأولون حول قسنطينة وفي سهول الشرق، و الآخرون في منطقة بجاية.[1]

وحسب ابن حزم، فإن قبائل زواوة يشكلون ايضا فرعا من كتامة، وهي قبائل كثيرة مشهورة، مواطنهم ومساكنهم بشمال افريقية، على ساحل البحر الأبيض المتوسط الممتد من خليج مدينة الجزائر الى بجاية إحدى عواصمهم ، ومن بجاية حتى جيجل ، فهؤلاء هم المعروفون و المشهورون بالزواوة.[2]

أما ابن خلدون فيقول : أنهم يشكلون اكبر بطون البربر ، مواطنهم تمتد من ضواحي بجاية إلى دلس، وهم يستوطنون الجبال والمرتفعات الوعرة ، ولهم بطون وشعوب كثيرة، ومواطنهم متصلة بمواطن كتامة.[3]

وتتفرع قبائل زواوة الى عدة فروع ومنها: بني يجر، بني منقلات، بنو بترون، بني يني، بني بوعردان، بني يثروغ، بني بويوسف، بني شعيب، بني عيسى، بني صدقة، بني غبرين، بني قشتلة ، وكانت أراضي زواوة واقعة في منطقة بجاية ، حيث كانت أراضيهم تفصل بين بلاد كتامة بلاد صنهاجة.

[1] ابن خلدون ، مصدر سابق، ج6، ص 197

[2] ابن حزم، مصدر سابق، ص 501.

3 الزواوي أبو يعلى، تاريخ الزواوة، مراجعة و تعليق، سهيل الخالدي، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، ط 1 ، 2005ن ص28

كان بني غبرين يسكنون جبال ،زان واما بني فرسون وبني إراثن كانوا يحتلون المنطقة التي تقع بين بجاية ودلس، ولا تزال بعض المناطق الواقعة في بجاية وتيزي وزو الحالية، تحتفض أسماء هذه القبائل، وكان هذا الشعب عهد الأسرة الصنهاجية المالكة، يحتل مكانة متميزة جدا، سواءا في فترات الحرب أو فترات السلم وعلى أكتافهم قامت الدولة الحمادية.[1]

من خلال ماسبق نستنتج أن سكان الدول الحمادية، مزيج بين القبائل البترية والقبائل البرنسية الواقعة في مناطق النفوذ الحمادي، ومنه فإن بنية سكان هذه الدولة تشكله كل من قبائل زناتة و مطماطة وعجيسة وصنهاجة (بلكانة، بنو ملكان)، وكتامة التي تمثل المرتبة الأولى من حيث إنتشارها الواسع في مختلف مناطق الدولة، الى جانب قبائل زواوة التي تعرف هي الاخرى إنتشار كبيرا، خاصة في المناطق الموالية لبجاية وضواحيها

[1] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص169

المبحث الثاني : ظروف تأسيس القلعة الحمادية

أولا :تأسيس القلعة

يعتبر تأسيس بني حماد القلعة كعاصمة أولى (460.398هـ)(1067.1007م)، من المراحل المهمة في تاريخ الدولة الحمادية، ومؤسسها هو حماد بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي ، (ت 419هـ . 1067م) . وذلك بعد انفصاله عن الدولة الزيرية واتخاذها عاصمة له[1].

بدأت تظهر بوادر الانفصال سنة 387هـ / 997م ، بعد إعلانه عن إتباعه للمذهب السني ،والولاء لبني العباس ، وخلع طاعته للفاطميين ،والانفصال عن الدولة الصنهاجية ، التي كان يتولاها ابن أخيه باديس .آنذاك ،فقد حصنها خلال عامين ، ومكث فيها طيلة فترة حكمه منازعا لباديس في حكمه على المغرب الأوسط[2]

جعلها أمراء بني حماد ملجأ لهم أوقات الخطر كما هو الحال للمهدية بالنسبة للفاطميين

[1] عبد الغني حروز :الحياة العلمية ففي قلعة بني حماد (461.408هـ).(1067.1017م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط ، المدرسة العليا لأساتذة ، بوزريعة ، الجزائر ،2010. ،2011ص 24

[2] عبد الرحمان الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ، الجزء الأول ، مكتبه الشركة الجزائرية ، مكتبه دار الحياة ، بيروت، 1965 مـ .1384هـ ،363ص

وبني زيري ،والقصر القديم بالنسبة للغالبية أما بالنسبة للفاطميين في أخر أيامهم بافريقية اتخذوا المنصورة ملجأ لهم[1] .

قلعة بني حماد من أعظم القلاع التي شيدها المسلمين فهي تشبه في تحصينها الأكراد في الشام ،وبقلعة صلاح الدين في القاهرة[2]

نتج عن انتقال الخلافة الفاطمية من المغرب إلى مصر، وتولية بلكين بن زيري[3]، شؤون إفريقية (تونس) والمغرب، سنة 361هـ [4] ، نهاية عهد الحكومات العربية في بلاد المغرب وبداية عهد الممالك البربرية، التي ستظهر على الساحة التاريخية لبلاد المغرب، بقيادة العناصر البربرية، وكان بلكين بن زيري فاتحة هذا العهد بعد أن استخلفه المعز لدين الله الفاطمي على المغرب. [5]

[1] عبد الغني حروز : قلعة بني حماد ووجهتها في العصر الوسيط ، المرجع السابق ، ص 242

[2] حسين مؤنس :معالم تاريخ المغرب و الأندلس ،دار الرشاد ، القاهرة ،173

[3] هو أبو الفتوح بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي، وهو جد باديس، ويسمى أيضا يوسف، لكن بلكين هو الاسم الأشهر، والذي استخلفه المعز بن المنصور العبيدي على إفريقيا عند توجهه إلى الديار المصرية، وذلك سنة 361هـ ، وتوفي سنة 373هـ . (انظر: ابن خليكان أبي العباس شمس الدين أحمد محمد بن أبي بكر)، وفيات الأعيان وأبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، بدون سنة، م1، ص 301).

4 ابن أبي دينار (أبي عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني) ، كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، ط1، 1286،ص74

[5] هو أبو الفتوح بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي، وهو جد باديس، ويسمى أيضا يوسف، لكن بلكين هو الاسم الأشهر، والذي استخلفه المعز بن المنصور العبيدي على إفريقيا عند توجهه إلى الديار المصرية، وذلك سنة 361هـ ، وتوفي سنة 373هـ . (انظر: ابن خليكان أبي العباس شمس الدين أحمد محمد بن أبي بكر)، وفيات الأعيان وأبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، بدون سنة، م1، ص 301).

وبعد وفاة بلكين بن زيري، خلفه ابنه المنصور والذي أبدى ميلا صريحا إلى الانفصال الروحي والسياسي عن الدولة الفاطمية في مصر، معبرا عن ذلك بقوله للذين قدموا لتهنئته بالإمارة: "إن أبي وجدي كان يأخذان الناس بالقهر وأنا لا أخذ أحدا إلا بالإحسان ولا اشكر على هذا الملك إلا الله سبحانه تعالى[1]، وفي عهده عقد لأخيه حماد على أشير والمسيلة، والتي إستقل بها حماد في عهد باديس بن المنصور سنة 387هـ [2]

وفي سنة 395هـ استعان باديس بعمه حماد في حروبه ضد زناتة، واشترط له حماد ولاية أشير والمغرب وكل بلد يفتحه، فقبل باديس شرطه، ولكن دون أن يخرج عن طاعته، وبذل حماد خلالها جهودا موفقة في حروبه ضد زناتة.[3]

ومن خلال الحروب التي خاضها حماد ضد زناتة ذاع صيته، وظهرت شخصيته كرجل حرب، وأصبح صاحب الزاب والمغرب الاوسط، ولم يبقى له إلا أن يسعي في تأسيس عاصمة لمملكته، حتى يتسنى له أن يتبوأ مكانة الملوك، وهذا ما تم فعلا سنة 398هـ، حيث بنى قلعته المشهورة بقلعة بني حماد ، بجبل كتامة كما سبق لنا ذكر ذلك[4].

---

[1] عويس عبد الحليم، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة لنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1991، ص 39 .

[2] أبي دينا، مصدر سابق، ص75

[3] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 227 .

[4] الساحلي حمادي، الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط 1 ، 1992، ج1، ص 144.

وقام بعدها بتشييد بنيانها و أسوارها ، وستكثر فيها من المساجد والفنادق، حيث أصبحت قبلة لكثير من طلاب العلم، وأصحاب الحرف والصنائع، ونقل إليها سكان مسيلة وحمزة وجراوة من المغرب وعمرها بهم، ولم يزل حماد أميرا على الزاب و الغرب الاوسط، ومتوليا حروب زناتة وكان يقيم بأشير تارة، وبالقلعة تارة أخرى، مترقبا ملوك زناتة.[1]

هكذا ظل حماد يفتتح الحصون والبلاد ويضمها إلى ولايته، حتى بلغ فتح تيجس وقسنطينة و غيرهما، فاستاء باديس من أمر عمه حماد، وتعاظم شأنه وقوته من جهة، ومن جهة أخري ضغط بعض الموالين لباديس من أقاربه، وذلك من خلال منافستهم لمكانة حماد ورتبته، فأثار ذلك ضغينة باديس، وأفسد العلاقة بينهما ، فاضطر باديس حينها إلى طلب حماد التنازل عما أقطع إليه أملاك، وحسب ابن الاثير فإن هذه الأملاك والتي تتمثل في: "مدينة تيجس وقصر الإفريقي وقسنطينة"[2]، ويسلم هذه الأملاك لابنه المعز [3]

رفض حماد طلب باديس والذي تمثل في التنازل عن تلك الأملاكه لصالح ابنه (المعز)، وبذلك خلع طاعة باديس في القيروان، ونبذ طاعة الدولة العبيدية الشيعية المتطرفة، وأعلن ولاؤه لبني العباس، و إعتنق مذهبهم السني وكان ذلك سنة 405 هـ[4].

[1] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 227.

[2] ابن الاثير ، مصدر سابق، ج8، ص 86

[3] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 227؛ سالم عبد العزيز، مرجع سابق، ص 283

[4] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 228؛ ابن الأثير ، مصدر سابق، ج8، ص 86

أدى الاختلاف الذي وقع بين باديس وعمه حماد، الى إعلان الحرب عليه سنة 406هـ، وأعد له جيشا ضخما لمنازلته وقصد به القلعة حيث بها ،حماد ودارت بينما حروب طاحنة، أسفرت في النهاية بهزيمة حماد بجوار قلعته هزيمة نكراء، وفر حماد الى قلعته محتميا بها، تاركا خيامه ومضاربه، وفي نفس السنة توفي الامير باديس وخلفه ابنه المعزة.[1]

إستغل حماد فرصة وفاة الامير باديس، وانتقال الخلافة لابنه المعز، الذي كان في الثامنة من عمره، وقد دبر له شؤون الحكم، أعمامه وبعض رجال دولته، استولى على مدينتي المسيلة و أشير، لكن المعز بن باديس واصل حربه ضد حماد حيث زحف إليه سنة 408 هـ، وهزمه في معركة عنيفة، وفر حماد إلى القلعة محتميا بها .[2]

ولم يجد بدلا من طلب الصلح مع رجال المعز بن باديس، والإقرار بالخطأ والاعتذار لهم وطلب العفو، وأن يكون تابعا للسلطة المركزية بالقيروان، واستقلال المغرب الأوسط، يكون استقلالا محليا ذاتيا ، فقبل المعز بذلك الصلح ، شرط أن يرسل حماد ابنه القائد الى المعز ليستبين صدق نيته، وبعد ذلك تم الصلح بين الطرفين، واستقرت الأمور بينهما ، وتصاهرا حيث زوج المعز أخته بعبد الله بن حماد فازدادوا اتفاقا و أمنا.[3]

1قايد ملود، مرجع سابق، ص 72؛ ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص228

[2]ابن الاثير، مصدر سابق، ج8 ، ص 89 ؛ شوقي ضيف، مرجع سابق، ص 36

[3] ابن الاثير، مصدر سابق، ج8، ص ص 89، 90

وهكذا أسفرت نتائج الصلح سنة 408هـ ، باستقلال حماد بولاية المغرب الاوسط، الذي يضم كل من المدن التالية (المسيلة، طبنة الزاب، أشير ، تاهرت، القلعة)، وكل ما يفتحه حماد و أبناؤه من بلاد المغرب الاقصى، ومنه فقد انقسمت الدولة الزيرية بالمغرب والتي كانت تشمل المغرب الأدنى و الاوسط إلى دولتين دولة بني زيري في القيروان ثم المهدية و دولة بني حماد في المغرب الاوسط في أشير و القلعة و بجاية فيما بعد.[1]

نستطيع القول أن الصلح الحمادي الزيري، سنة " 408هـ / 1017م "، فتح المجال نهائيا لميلاد نظام سياسي جديد، تمثل في ميلاد الدولة الحمادية المستقلة بالمغرب الاوسط، رغم ما نصت عليه شروط الصلح، بألا يتصرف بنو حماد في شؤون دولتهم، السياسية منها والعسكرية دون إذن من المعز بن باديس، لكن المشاكل المحيطة بهم، جعلتهم عاجزين على إجبار بني حماد على طاعتهم، مكتفين بالطاعة الاسمية، وسارت كل دولة على نهج ملوكها.[2]

فسر البعض هزيمة حماد أمام باديس لقلة موارده مقارنة مع موارد ابن أخيه ، وما يحسب ضده هو خلعه للفاطميين ومبايعته للعباسين ، ربما ارتكب خطأ فادحا [3]

[1] مقلد الغنيمي عبد الفتاح، مرجع سابق، ج4، ص 362.

[2] مقلد الغنيمي عبد الفتاح، المرجع نفسه ونفس ص

[3] روجي إدريس : الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10الى ، 12الطبعة ،1ج ، 1دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ص158

ثانيا : انتقال الخلافة الى المعز

بعد وفاة باديس بويع ابنه المعز . ابن الثماني سنوات استغل حماد فرصة وفاة الامير باديس، وانتقال الخلافة لابنه المعز، وقد دبر له شؤون الحكم، أعمامه وبعض رجال دولته، استولى على مدينتي المسيلة و أشير ، لكن المعز بن باديس واصل حربه ضد حماد حيث زحف إليه سنة 408هـ ، وهزمه في معركة عنيفة، وفر حماد إلى القلعة محتميا بها ولم يجد بدلا من طلب الصلح مع رجال المعز بن باديس، والإقرار بالخطأ والاعتذار لهم وطلب العفو، وأن يكون تابعا للسلطة المركزية بالقيروان، واستقلاله بالمغرب الأوسط، يكون استقلالا محليا ذاتيا، فقبل المعز بذلك الصلح، شرط أن يرسل حماد ابنه القائد الى المعز ليستبين صدق نيته، وبعد ذلك تم الصلح بين الطرفين، واستقرت الأمور بينهما، وتصاهرا حيث زوج المعز أخته بعبد الله بن حماد فازدادوا اتفاقا وأمنا

فبايعوه العسكر البيعة العامة ، وكانت البيعة في المهدية ،في 14ذي الحجة 406هـ/ مايو يونيو 1016م ، يقال أن جدته هي التي كانت تسير الأمور وتصرف الأحوال من رأيها ، استغل حماد خبر وفاة ابن أخيه ودخل المسيلة و أشير و أستعد للحرب [1]

وبعد أن فك عليه الحصار بعد وفاة باديس ، من اجل استرجاع مدينة أشير التي كانت تحت سيطرة الزيرين بقيادة كرامة أخو باديس ، وذكر ابن ا لأثير انه لما وصل كرامة

[1] سير أعلام النبلاء ، الجزء الأول ،رتبه وحققه : حسان عبد المنان ، بيت الأفكار الدولية ،.3904

اجتمع عليه قبائل صنهاجة وغيرها وجاء حماد وجيشه بتعداد 1500فارس ، فتقدم إليه كرامه بتسعة ألاف مقاتل ودار بينهما قتال شديد انتهي بهزيمه كرامه [1]

ثالثا: تجهيزات للحملة العسكرية

بدا المعز في تجهيز حملته العسكرية للقضاء على حماد ونزعته الانفصالية ، وكان ذلك بعد عام من رجوع كرامة إلى افريقية بيد نائبه العام محمد بن حسن ، وحينها كان حماد يحاصر باغايا[2]، في تلك الأثناء[3].

أما حماد كان يخطط للخداع حلفاء المعز من خلال إرسال أخيه إبراهيم الذي غرر بأيوب ابن يطوفت عامل باغايا ،على أن أخاه حماد يرسل إليه السلام ، وإن ما حدث بينهما من خلاف (كان بقضاء الله)، وأن حماد على طاعة المعز وطلب منه أن يرسل من يثق به للأخذ عهود الطاعة ، ليطمئن ، ولقد غدروا برسولي أيوب هما أخويه حمامة و حبوس بن القاسم بن حمامة ، بتجريدهما من الثياب وألبسهم ثياب رثة مثقلين بالحديد وقتل حماد تورين غلام أيوب[4].

[1] طاهر سبع : وقفات مع التاريخ السياسي للدولة الحمادية بالقلعة من خلال كتاب الأثير ،مجلة الحكمة ، الجزائر ،289 ، ص1984

[2] روجي إدريس : المرجع السابق ، ج ،1ص 191

[3] سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي الفاطميون و بني زيري الصنهاجيون إلى قيام الم اربطين ، الجزء الثالث ، منشأة الإسكندرية ، ص 40

[4] رشيد بورويبة : المرجع السابق ، ص 33

بعد هزيمة حماد على يد المعز ابن باديس أرسل رسالة يطلب فيها الصلح ، الا أن المعز شرط أن يرسل حماد أبنه القائد كرهينة ، وتم الصلح بين الرجلين بعد أن تأكد حماد من ذالك إطلاق سراح أخيه إبراهيم ، هذا الأخير الذي كان معتقل لدي المعز ،[1]وتم الصلح في صفر 407هـ/1017م[2]

استقل حماد بالمسيلة وطبنة ومقرة ومرسى الدجاج وسوق حمزة وزواوة ، وانتهت الحرب بينهما وانقسمت الدولة الصنهاجية إلى دولتين : دولة المنصور بن بلكين أصحاب القيروان، ودولة حماد بن بلكين أصحاب القلعة [3]. ابتداء من سنة 408هـ/1017م ، هو التاريخ الفعلى لتأسيس دولة بني حماد[4]

[1] عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص 70

[2] حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ،دار الرشاد ، ب،ت ، ص 162

[3] بن خلدون : المصدر السابق ، ج 210

[4] رشيد بورويبة: المرجع السابق ، ص 34

خلاصة الفصل الأول:

ومما يمكن استنتاجه أن الدولة الحمادية امتد تاريخها زمنا طويلا حيث عمرت مدة زمنية طويلة حوالي 142سنة ،بحيث تعرضت حدودها للعديد من التغيرات وهذا راجع إلى طبيعة العلاقات السياسية للدولة

تمهيد

شهدت الدولة الحمادية خلال فترة قيامها كدولة مستقلة في القلعة تطورا كبيرا في مجالات عدة، ومن بينها العمارة بصفة عامة وعمارة القصور بصفة خاصة، والفضل يعود إلى أمرائها الذين كانوا مهتمين ومولعين بالبناء والتشييد، وهذا بدوره أدى إلى ازدهار الدولة الحمادية، حيث اعتبرت القصور رمزا لقوتها وازدهارها.

المبحث الأول : لمحة تاريخيه للدولة الحمادية

أولا : أهم حواضر الدولة

1- القلعة :

أنشئت هذه الحاضرة قلعة بني حماد سنة 1007/1008م، على يد حماد بلكين ، بعدما شهد المغرب بن الأوسط مجموعة الأحداث السياسية التي قامت فيه، خصوصا بعد سقوط الدولة الرستمية على يد الفاطميين الدين دخول المغرب سنة 226هـ، بهدفه نشر المذهب الشيعي و التبعية للعبيديين، فسقطت الكثير من قبائل المغرب الأوس، منها القبائل الصنهاجية، أما قبيلة زناته رفضت هذه التبعية وبقيت تحت حكم الخلافة الأموية بالأندلس، فقبيلة صنهاجة، التي تنتسب إلى شيعة آل زيري بقيت موالية للعبيديين إلى غاية انتقال الفاطميين إلى بلاد المشرق[1] ، و تركهم للأمور بيد صنهاجة بقيادة بلكين بن زير الصنهاجي و من هنا أصبحت زناتة الأموية تشكل خطرا على الزيريين. [2]

ومع مجئ حماد بن بلكين الذي استطاع التحكم في زمام الأمور و إبراز شخصيته من خلال إخماده هذه لفتنة زناته الأموية عينه أخيه المنصور بن بلكين على مدينة أشير و المسيلة، مقابل إخماده الفتنة والعديد من الحروب سنة 395هـ 1005م[3]، ومن ثم أعلن رفضه للتشيع و تبعيته

1 الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، مرجع سابق، ص230

2 عبد الحليم عويس دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر، ط2، دار الصحوة، القاهرة، 1991، ص48

3 عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص227

للفاطميين سنة 405هـ /1014م، وهو ما أدى إلى نشوب حروب بين حماد و باديس و حتى مع المعز انتهت بانتصار حماد[1].

بعد تلك الانتصارات السياسية التي حققها حماد بن بلكين الصنهاجي قام بناء مدينة القلعة 398هـ/ 1007م[2] كانت تسمى قلعة أبي الطويل اختيار، حيث جاء اختيار حماد لهذا الموقع الاستراتيجي[3]، على جبل كتامة الحصين شرق مدينة المسيلة[4] .و في هذا الصدد يذكر الحموي بأنها : "... قرب أشير من أرض المغرب الأدنى وليس لهذه القلعة منظر ولا رواء حسن إنما اختطها حماد للتحصين.[5]" ولما أثم بنائها سنه 400هـ قل إليها أهل المسيلة، و أهل حمزة. [6]

فتعتبر القلعة العاصمة الأولى لبني حماد[7] إذ تميزت بمساحتها الواسعة وكثرة خيراتها، وقصورها المشيدة[1]، فقد وصفها البكري بقوله"وهي قلعة كبيرة ذات منفعة وحصانة تمصرت عند خراب القيروان، انتقل إليها أكثر أهل إفريقية وهي اليوم مقصد التجار وهي مستقر مملكة صنهاجة.[2]

---

1 عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 1 ، مرجع سابق، ص357

2 عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص227

3 الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، تع: حمادي الساحلي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ، ج2 ، 98.

4 صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفاطميين الي خروج الفرنسيين (814ق.م – 1962م)، دار العلوم، الجزائر، 2003، ص66.

5 الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي)، معجم البلدان، ج4، دار الصادر،بيروت،1984ص – ص 442،443.

6 عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج ص 227

7 الهادي : روجي إدريس، المرجع السابق، ص98.

2-بجاية :

يرتبط ظهور مدينة بجاية بأحداث تاريخية هامة، منها ما يعود إلى العداء الذي كان قائما بين الدولتين الدولة الزيرية والدولة الحمادية بزعامة تميم بن المعز صاحب المهدية والناصر بن علناس الحمادي[3]، والسبب الأول لهذا الخلاف هو تلك الفتنة فقد أكثر الناصر في مجلسه بالحديث عن وذمه للمعز بن تميم عن المعز[4]، وبالفعل استطاع هذا الأخير هزمه سنة 457هـ بموقعة سبيبة[5] ، و من هنا كان فرار الناصر بن علناس من المعز إلى القلعة التي رحب به أهلها العرب و قاموا بضيافته وإكرامه، و بدأ يفكر في بناء مدينة جديدة غير القلعة وبالفعل كان له ما أراد[6].

اختلف المؤرخون في تاريخ بناء مدينة بجاية، فيرى ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ أنها بنيت سنة 457هـ في عهد الناصر بن علناس بن حماد وذلك بسبب الفتنة التي كانت قائمة بين قبائل بني حماد الصنهاجية و الزناتية و بين القبائل العربية من أجل مدينة سبته[7]

---

[1] محمد بن عبد المنعم، الروض المغطار في الأقطار . ، تح إحسان ،عباس ،الحميري، ط1-2، مكتبة لبنان الحميري بيروت، ص82

[2] البكري (أبو عبيد : المصدر السابق، ص169.

[3] ابن الأثير أبي الحسن علي ابن أبي الكرم (ت 630هـ / 1232م)، الكامل في التاريخ ،مج 9، مرا: محمد يوسف الدقاق،ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، 2006، ص 372

[4] نفسه، ص 373

[5] ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص186.

[6] ابن عذارى المراكشي، (تبعد 712هـ / 1309م) البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس ، تح: كولان وليفي بروفنسال، ج1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1985/ص 309.

[7] ابن الأثير، المصدر السابق، ص- ص 373-374

تقع مدينة بجاية على ضفاف البحر[1]، بين إفريقية والمغرب[2]، إذ تعتبر قاعدة المغرب الأوسط[3]، في القرن 12م أصبحت بجاية العاصمة الثانية لبني حماد بعد القلعة، كان لموقعها الاستراتيجي حصانة عظيمة ومنعة[4] ، توسطت هذه المدينة عدة عواصم، وكان لها دور بحري ساعد الكثير من العرب بالهجرة إليها والاستقرار بها[5]، وصفها الإدريسي وصف دقيقا في هذا الشأن "قائلا:" ومدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة الغرب الإسلامي، وعين بلا د بني حماد والسفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة ، والأمتعة إليها برا وبحرا إليها مجلوبة والبضائع بها نافقة.[6]

- المسيلة:

تعتبر المسيلة إحدى حواضر المغرب الأوسط المهمة كونها مدينة قديمة، لما شاهدته من أحداث تاريخية مرت بها كفترة الاحتلال الروماني لهذه المدينة، و السيطرة الفاطمية على بلاد المغرب الإسلامي الذين كان هدفهم نشر التشيع إلى قيام الدولة الحمادية.

[1] مجهول، الاستبصار في عجائب الأبصار، تح . سعد زغلول عبد الحميد الإسكندرية، 1958، ص168.

[2] ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص339.

[3] القلقشندى (أبي العباس أحمد ، صبح الأعشى، ج 5، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1333-1915م، ، ص109

[4] عبد الهادي شريط، مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي و الاجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1995ص 93.

[5] ابن فضل العمري شهاب الدين احمد بن يحي (ت749هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: كامل سليمان الجبوري و مهدي النجم، ج4، ط 1 ، دار الكتاب العلمية، لبنان، 2010، ص 68.

[6] سعد زغلول عبد الحميد تاريخ المغرب العربي الفاطميون وبنو زيري والصنهاجيين إلى قيام دولة المرابطين، ج، المعارف الإسكندرية ، مصر، 1990، ص456.

اختلاف المؤرخين في تحديد تاريخ إنشاء مدينة المسيلة، فقد ذكر الحميري أن تاريخ بنائها سنة313هـ و وافقه ذلك البكري في، أما القلقشندى يرى في كتابه صبح الأعشى أن تاريخ بنائها يعود إلى سنة 513هـ، و يرجع الفضل في تشيد وتحصين هذه المدينة الجليلة إلى القائد علي بن حمدون بن سماك الجذامي المعروف بابن الأندلسي الذي عرف بشغفه واهتمامه الكبير بالبناء والتشييد، حيث أنهى بنائها سنة 317هـ / 931م واستعمله عليها أبو القاسم محمد القائم بن عبيد الله المهدي، الذي وجده فيه صفات الشجاعة، ولما فيه من روح المسؤولية ، إلى أن هلك في فتنة أبى يزيد.[1]

يرجع الفضل في بناء مدينة المسيلة إلى عدة أسباب منها السياسية و المتمثلة في تلك الانتصارات حققها أبو القاسم بالمغربين الأقصى و الأوسط على الثورات القائمة ضده وخصوصا بعدما أنهى من فتحه مدينة تاهرت وضواحيها [2]، وكذالك أسباب طبيعية منها الموقع الإستراتيجي لهذه المدينة كونها تقع قرب نهر يسمى نهر سهر، حيث قال عنها البكري: "مدينة المسيلة مدينة جليلة على نهر يسمى نهر السهر ... وهي مدينة في بساط من الأرض عليها سوران بينهما جدول ماء جار يستدير بالمدينة وله منافد تسقى منها عند الحاجة..."

[1] عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص51.

[2] محمد صالح، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، معهد العلوم الاجتماعية الجزائر، 1983،ص 297.

سميت مدينة المسيلة بالمحمدية وذلك نسبة إلى محمد القاسم الذي كان له.

ثانيا: القصور الحمادية بالقلعة

بني بالقلعة الحمادية حسب الاكتشافات الأثرية ثلاث قصور أو أكثر، وفي هذا يقول ابن خلدون في كتابه العبر «فبني في القلعة قصر الملك والمنار والكوكب وقصر السلام»، [1]حيث أجريت حفريات كثيرة في القلعة وفي فترات متتالية منذ 1897م على يد بول بلانشـي Paul Blanchiودوبليي Debeybie سنة 1908م ، ولوسيان غولفان من سنة 1951-1962 م وواصل تلميذه بورويبة الحفريات وذلك في فترة 1962-1972م [2]

1: التراث العمراني لقلعة بني حماد

اعتني الحماديون بالفن المعماري فأبو إلا أن يكون لهم من المباني ما كان لبني عمهم بافريقية وللفاطميين بمصر ، والمباني تدل على ما وصلت إليه الدولة من عز وسلطان ، فاحضر المهندسين من افريقية و حتى المشرق لتشيد المشاريع العمومية والقصور لهم فأسسوا الأسوار والمساجد3

[1] عبد الرحمن (ابن خلدون)، المصدر السابق، ج6، ص 232

2 عبد العزيز (العرج)، الإبداع الفني والصناعي في مجال الخزف بقلعة بني حماد وعلاقات القلعة بالمراكز الخزفية مشـرقا ومغربا من خلال خزفها ، أعمال الملتقى الدولي حول مدينة قلعة بـ حماد ألف سنة من التأسيس يس (398- 1427هـ/1007-2007م)، أيام 9-10-11 أفريل 2007م، جامعة المسيلة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، ص 182.

[3] محمد الطمار : الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007،ص153

ينتسب الحماديون إلى قبيلة صنهاجة البربرية التي تنقسم إلى سبعين بطنا أهمها تلكاتة ، لمتونة، مسوفة ، ولقد اختلف المؤرخون في نسبهم فمنهم من يقول إنهم من بطون البرانس من ولد برنس بن بر، ومنهم من ينسبهم إلى حمير في اليمن[1]

وتعد الدولة الحمادية ثاني كيان سياسي بعد الرستميين (166 296هـ / 776- 910م)، في المغرب الأوسط وقد كان تأسيسها على يد حماد بن بلكين الذي ولأه أخوه المنصور ابن بلكين بن زيري على ولايتي أشير [2]، والمسيلة[3].

وعلى الرغم مما شهدته هذه الدولة من اضطرابات وحروب سواء مع بني عمومتهم الزيريين أو الزناتيين أو بنو هلال، إلا أنها تركت لنا شواهد مادية ثابتة ومنقولة تبهر العين وتسر الناظر، بقيت تشهد على رقيها وازدهارها طيلة القرن ونصف القرن من الزمن في عدة مناطق من المغرب الأوسط أهمها: القلعة وبجاية وقسنطينة، بحيث بقيت هذه المدن تحتفظ لنا ببعض العمائر الدينية والمدنية والعسكرية، وخير دليل على ذلك بقايا الجامع الكبير بقلعة بني حماد بالإضافة إلى بقايا قصر المنار وقصر البحر .

---

[1] بورويبة رشيد، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص06

[2] أشير : بناها زيري بن مناد وتعرف بأشير زيري وكانت مدينة قديمة بها آثار عجيبة، وإنما بني زيري سورها وحصنها وعمرها، فليس في تلك الأقطار أحسن منها وهي بين جبال شامخة محيطة بها، وداخل المدينة عينان لا يبلغ لهما غور ولا يدرك قعر من بناء الأول . أنظر : مؤرخ مجهول، كتاب الاستبصار في معرفة الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، تعليق : سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية، ط2، بغداد، 1986، ص 170

[3] المسيلة هي مدينة جليلة على نهر يسمى نهر سهر، أسسها أبو القاسم إسماعيل بن عبيد الله سنة 323هـ / 932م ، عليها سوران بينهما جدول ماء جاري يستدير بالمدينة وله منافذ يسقى منها عند الحاجة، وللمدينة أسواق وحمامات وحولها بساتين كثيرة ويجود عندهم القطن ، وهي كثيرة اللحم رخيصة السعر وبها عقارب مهلكة لا يتخلص من لسعها، أنظر البكري أبي عبيد المسالك والممالك، ج2، تحقيق: أدريان فان ليوفن وأندري فيري الدار العربية للكتاب، تونس، 1992، ص ص 722،723

ويعتبر الفن المعماري أو الهندسة المعمارية أشهر عرف من نواحي التقدم الحمادي ، فأبدعت الحضارة الحمادية في تشيد القصور المساجد ،وهذا مثبتته حفريات (بلانش وبيليه وفولفان) ، مدي تقدم التقدم الذي أحرزه الحماديون في هذا الفن [1] .

ولندرة المعلومات حول هذا الموضوع سنحاول دراسة مظاهر العمران في القلعة بالاعتماد على بعض المعطيات الدراسات ويمكن تقسيم أثار العمرانية إلي مباني دينه ومدنية وعسكرية .

ولقد بقيت هاته الشواهد المعمارية تصارع وتكابد الزمن لتوصل لنا صورة واضحة عما بلغته الدولة الحمادية من رقي وازدهار حضاري معماري، يعبر عن هوية وأصالة الشعب الجزائري بصفة عامة، والشعب الحضني بصفة خاصة.

ولندرة المعلومات حول هذا الموضوع سنحاول دراسة مظاهر العمران في القلعة بالاعتماد على بعض المعطيات الدراسات ويمكن تقسيم أثار العمرانية إلي مباني دينه ومدنية وعسكرية

ثالثا: عوامل الانتقال من القلعة إلى بجاية

بجاية هي مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب[2] ، ومدينة المغرب الاوسط، وعين بلاد بني حماد، وتقع على درجة 2 و 45 من خط الطول الشرقي، 36 درجة و 45 من خط

[1] عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، 276

[2] الإدريسي (أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني)، نزهة المشتاق في إختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ج1، ص260

العرض الشمالي، ومتوسط درجة الحرارة السنوية فيها 17 درجة، يعطيها جبل أميسون (قورايا) حماية حصينة من تيارات الرياح ، فهواؤها صحي ونقي، وجوها معتدل[1]

وبجاية محمية طبيعيا ومحصنة بالبحر والجبال، حيث يصفها الحميري قائلا: "وهي مدينة عظيمة مابين جبال شامخة قد أحاطت بها والبحر منها، في ثلاث جيهات في الشرق والغرب والجوف، ولها طريق إلى جهة الغرب يسمى المضيق، على ضفة النهر المسمى بالوادي الكبير، وطريق في القبلة إلى القلعة على عقاب وأوعار ، وكذلك طريقها إلى الشرق، وليس لها طريق سهل إلا من جهة الغرب، ولذلك قال الشاعر : بجاية كلها أو عار ... حل لمن حلها عقاب".[2]

كان تأسيس مدينة بجاية سنة 460هـ / 1067م"، من طرف الناصر بن علناس[3]، والانتقال من القلعة إلى بجاية، لم يكن خاضع لتخطيط سابق، وإنما كان لظروف طارئة، وحتمية لابد منها،

[1] العربي إسماعيل، "بجاية العاصمة الثانية لبني حماد "، مجلة الثقافة، العدد (18)، 1973، ص 26.

[2] الحميري، مصدر سابق، ج1، ص 81

[3] هو الناصر بن علناس بن محمد بن حماد مؤسس الأسرة، كان من أشهر ملوك هذه الدولة وأعظمهم شأنا وأعلاهم كعبا و أثبتهم قدما في الملك، كان جوادا كريما شجاعا، سفاكا لدماء، ويعتبر خامس أمراء الأسرة الحمادية الذين حكموا البلاد وطالت فترة حكمه حتى بلغت سبعة و عشرين عاما، أي في الفترة الممتدة ما بين: (454 هـ، 481 هـ / 1062م، 1088م)، وكانت وفاته في سنة 481هـ ، و خلفه ابنه المنصور. (أنظر: ابن الاثير، مصدر سابق، ج8، ص 372 الغنيمي عبد الفتاح، مرجع سابق، ج4، ص 286؛ الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار وحدة الطباعة الرويبة، 2010، ج1، ص 363؛ ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص (232).

وذلك من خلال الظروف الصعبة، والفتنة التي اجتاحت المغرب، والمتمثلة في هجرة القبائل الهلالية[1] إلى المغرب بعدما كانت في منطقة النيل[2]

كانت هجرة القبائل العربية الى المغرب بتأشيرة من العبيديين في مصر، والتي كانت من قبل ممنوعة عليهم، وجاءت هذه التأشيرة، كرد فعل العبيديين على المعز بن باديس، الذي قام بخلع طاعتهم وقتل أشياعهم، وحرق صحيفة بنودهم، وإعلانه طاعة آل العباس ومذهبهم السني، كما اتبعته في ذلك معظم البلاد الغربية.[3]

وعاشت القبائل الهلالية في المغرب خلالها نهبا وسلبا و فسادا كبير، كما قامت بالضغط على بني زيري في القيروان ومحاربتهم حتى أرغموهم على ترك القيروان، فلجأ باتجاه مدينة المهدية[4]، فهي أقل خطورة من القيروان، ولم يتأخر الهلاليين في التوسع اتجاه الغرب حتى وصلوا إقليم

[1] تعود بطون بني هلال إلى قبيلة مضر والتي كانت مواطنهم بنجد، نزلوا بمصر بعد تغلب الشيعة الفاطميين عليهم وعلى الشام، من بطونهم : جشم زغبة رياح ربيعة عدي، وقد غلب هذا المصطلح، المنسوب إلى بني هلال، رغم تعدد القبائل المشاركة فيه على النحو المذكور سابقا، وتعود شهرة هذا الإسم إلى أول من دخل من هذه القبائل إلى إفريقية والمغرب (بني هلال)، إلى جانب سهولة هذا الإسم. (أنظر : إبن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص ص 18 19؛ كحالة عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط5، 1985، ج2 ، ص ص 543، 546؛ يونس عبد المجيد الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، دارالمعرفة، القاهرة، مصر، ص ص 70، 73)

[2] Do minque Valèrian, Bougie port maghrébin, 1067 − 1510, ècole française de rome, 2006, p 43.

[3] ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص 81؛ المراكشي (ابن عذارى) ، البيان المغرب في أخبار الاندلس و المغرب، تحقيق ومراجعة ج س كولان، و إ، ليفي ،بروقنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 1، 1983، ط1، ص ص 273 274

[4] مدينة محدثة بساحل إفريقية، بناها عبد الله الشيعي الخارج عن بني الأغلب وهو سماها المهدية نسبها إلى نفسه، وكان ابتداء بنيانها سنة 300هـ (أنظر الحميري ، مصدر سابق، ج 1، ص 561).

الحماديين، وفي ذلك الوقت انهزم الامير الناصر على يد العرب الهلاليين في سبيبة[1]، سنة (457 1064م)، واتجه الى القلعة محتميا بها، وما كان على الناصر إلا إيجاد حلا سريعا، يمكنه من إيقاف فتنة الهلاليين، ولا سبيل في ذلك من ترك القلعة، و الهجرة إلى مكان بعيد، يؤمنه شر هؤلاء، و جاءت مرحلة تأسيس مدينة بجاية كحد فاصل لهذه الظروف[2].

وحسب ابن الاثير، فإن تأسيس بجاية، يرتبط بقصة الصلح بين الناصر بن علناس و تميم بن المعز الأمير الزيري، بعد موقعة سبيبة، فإن الناصر ندم في تورطه في الحرب ضد بني عمومته، ومال إلى الصلح معهم، وقبل تميم بن المعز عرض الصلح، وأرسل أحد رجاله إلى الامير الناصر، ومعه شروط الصلح ، وحسب إبن الأثير ، فإن هذا الرسول هو محمد بن البعبع"[3]

وأثناء رحلة هذا الأخير إلى القلعة مر بمدينة بجاية و التي كان فيها بيوت من البربر، فتأملها حق التأمل، ثم قام بتصميم لها كمدينة جديدة ستبنى هناك، حيث صمم جدرانها ومبانيها ونقل هذا التصميم إلى الناصر، وقام بتحفيزه وتشجيعه على خلع كل فكرة إصلاح أو إتحاد مع

[1] مدينة بإفريقية (تونس) ، وهي مدينة أولية ذات أنهار وثمار، وفيها مزروعات كثيرة ، و قرى عامرة، يسكنها قبائل من البربر و العرب، وقامت فيها حرب كبيرة سنة 457هـ ، إنتهز خلالها الناصر بن علناس، أمام أبناء عمومته (بنو زيري)، أصحاب القيروان، نتيجة خيانة القبائل العربية له. (أنظر الحميري، المصدر سابق، ج1، 304؛ ابن الاثير ، مصدر سابق، ج8، ص ص 372، 373).

[2] Do minque Valèrian, Op Cit, pp 43, 44.

–الحميري، مصدر سابق، ج1، ص 81

[3] ابن الاثير، مصدر سابق، ص 373؛ النويري نهاية الإرب، مصدر سابق 124–125

الأمير تميم، وشجعه على خدعه، حيث حدثه عن المصلحة التي يجنيها من بجاية من خلال إنشاء قاعدة صناعية بها، وكذلك قهر العدو والاقتراب من إفريقية، فاقتنع الناصر بنصيحة بن البعبع و ذلك بعد انتقالهما إلى بجاية، وقدم له التصميم بكل تفاصيله، وفي الحين شرع في بناء مدينة بجاية وسماها باسمه "الناصرية "[1]

المبحث الثاني: ادوات وتقنيات ومميزات العمارة الحمادية

اولا :الادوات العمارة الحمادية

-الدبش (Le mortier)

إن الدراس لسور القلعة الحمادية، والذي يبلغ طوله أكثر من 7 كلم، ويتراوح سمكه ما بين 1.20 و1.60م، والذي فتحت فيه ثلاثة أبواب وهي: باب الأقواس، والجنان، وباب جراوة، لوجدنا بأن الطريقة الحمادية المستعملة في البناء بالدبش ، تختلف حجما ووضعا عن تلك التقنية التي كانت معروفة من قبل لدى الرستمين في تأهرت[2]، لأن الدبش في العهد الحمادي وفي سور القلعة كان يتوضع فوق بعضه البعض بطريقة ترصيفية غير منتظمة جيدا، ويخلط بكمية من الملاط، وهذا ما جعله يقاوم الزمن، ويبقى جزء منه إلى يومنا هذا.

[1] النويري، نهاية الإرب، مصدر سابق ، ج24 ص 124، 125؛ الحموي، مصدر سابق، م1، ص 339؛ إبن الأثير ، الكامل، مصدر سابق، ص 374

[2] BOUROUIBA (R), L'architecture militaire de l'Algérie médiévale, Alger, 1983, p. 76.

وتقنية البناء بالدبش يمكن أن نلمحها أيضا في جدران المسجد الجامع، ودعائمه الخارجية، وهذه الملاحظة اعتمادا على ما تبقى من أجزائه السفلية والمئذنة التي مازال ينتصب جزء كبير منها إلى يومنا الحالي[1]، وهذا يرجع أيضا إلى تقنية البناء المحكمة التي بنيت بها، حيث يلاحظ فيها الدبش مرصف بطريقة تنظيمية حتى تبدو من بعيد وكأنها مبنية بقطع من الأجر المهذب وفي أركان الواجهة الجنوبية، فقد استعمل الدبش الطويل، ولم يأت هذا عفويا لأن المعمار كان يدرك جيدا النظريات المعمارية المتعلقة بالثقل وتوزيعه، كما أدرك أهمية الربط في الأركان[2] ، وهذه التقنية لم تستعمل في المئذنة فقط، بل تكررت أيضا في قصر البحر، خاصة في الحوض الكبير أين وجد الدبش ذو مقاسات وأحجام متقاربة، وطريقة ترصيفه منتظمة مما يدل على أن المعمار قام بتهذيبها قبل وضعها، وتتكرر نفس الملاحظة في قصر المنار.(الشكل 01)

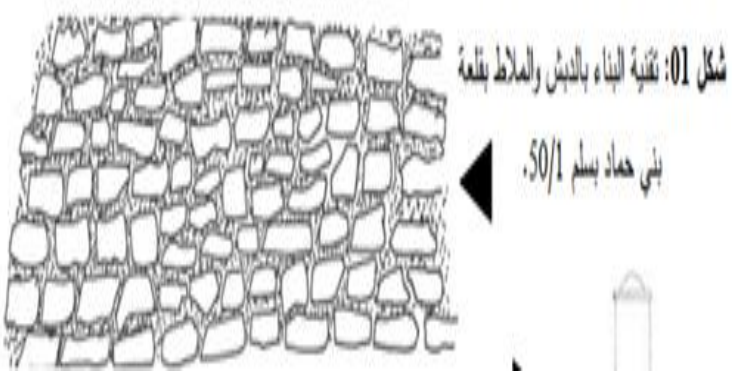

شكل 01: تقنية البناء بالدبش والملاط بقلعة بني حماد بمسيلة 1/50.

[1] BOUROUIBA (R), L'art religieux en Algérie, Alger, 1973, p. 26

[2] GOLVIN (L), Le maghreb central à l'époque des zirides, Paris, p. 183

ومن الأمثلة السابقة، نستنتج أن تقنية البناء بالدبش قد عرفت تجديدات كبيرة ومميزات انفردت بها العمارة الحمادية، ونفس التقية أيضا استعملت في بجاية حيث مازالت ظاهرة للعيان في باب البثود وباب البحر، وأجزاء من السور ، وكلها تعبر عن وحدة في التقنية، ووحدة في فن البناء.

ثانيا: تقنية بناء الجدران المتوازية

ومن الأشياء التي يمكن ملاحظتها أيضا حول مظاهر التجديد في العمارة الحمادية، هي تقنية البناء الجدران المتوازية، ترتب الأحجار المتقاربة في الحجم على شكل صفين متوازيين، وتترك نواتها فارغة لتملأ بالشظايا الحجرية والطابية، وهذه الطريقة قديمة تعود إلى العهد الروماني، وهي صحية جدا للإنسان، حيث تحافظ الطبقة الوسطى على اعتدال الجو داخل المبنى، فهي تعمل على عدم تسرب البرودة بقوة شتاء، وعلى عدم تسرب الحرارة بقوة صيفا، والملاحظ في هذه التقنية أن الحجارة تكون مهذبة جيدا، ولكن المعمار الحمادي استعملها خاما، أو مشطفة قليلا، وهذه إحدى مميزاتها، وقد يرجع ذلك إلى عامل الوقت حيث كان هدف حماد هو ايجاد عاصمة لدولته بسرعة فائقة قبل أن يتفطن له أعمامه الزيريين، كما أضاف المعمار أيضا تقنية أخرى تتمثل في وضع لوحتين خشبيتين كبيرتين ومتوازيتين مشدودتين بواسطة إما حبال ، أو أوتاد خشبية، وأحيانا حديدية ليضع بينهما الطابية المركبة بواسطة الشظايا، ويدك الخليط بواسطة آلة خشبية كبيرة مكونة من قطعة خشبية مربعة أو مستطيلة.

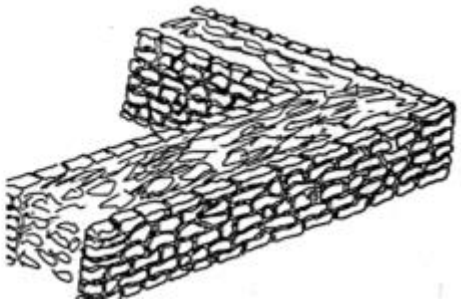

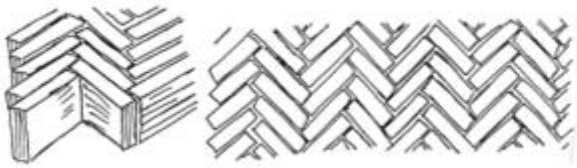

شكل رقم02 :تقنية بناء الجدران المتوازية وسطها بالطابية

شكل رقم 03: تقنية البناء بالاجر على شكل ضفيرة

المملوءة

خلاصة الفصل الثاني :

أما عن هذه الحواضر فبناء القلعة كان نتيجة لتلك الحركة الانفصالية الناجحة، التي قام بها حماد بن بلكين، فكان تاريخ هذا البناء سنة (1007م/ 1008م)، بحيث مثلت أول كيان سياسي بالنسبة لحماد ولأبنائه من بعده، ومنها لتنتقل العاصمة الحمادية من القلعة إلى مدينة بجاية التي بناها الناصر بن علناس، و نتيجة الفتنة التي تعرض لهان ومنها لتكون حاضرة حمادية جديدة سماها الناصرية.

تمهيد:

شــهدت الدولة الحمادية خلال العصر الوسيط ازدهارا كبيرا في الفن المعماري الهندسي، حيث كان الحماديون مهتمين بالزخارف والرسوم، وكانت لهم دراية كبيرة بالهندسة وتخطيط المدن، سواء في القلعة عاصمتهم الأولى أو في بجاية عاصمتهم الثانية، وساعدتهم في ذلك عدة عوامل، من بينها اهتمام الأمراء بالبناء والتشييد، وتوفر الحرفيين المهرة، ومواد البناء.

وتعتبر القصور الحمادية من أهم ما خلفته الدولة الحمادية خلال فترة قيامها في المغرب الأوسط، وإن كانت تنتمي إلى نفس الطراز الإسلامي فإن هناك نقاط تشابه واختلاف فيما بينها ، نظرا لطبيعة الهندسة المعمارية والزخرفة الفنية الجمالية، فلكل قصــر سـماته الخاصة سواء في القلعة أو في بجاية، وسوف نقوم بدراسته في هذا الفصل للوقوف على أوجه الشبه والاختلاف بينها من الناحية التاريخية والفنية انطلاقا مما درسناه مسبقا.

المبحث الاول : دراسة تاريخية للقصور الحمادية في القلعة وبجاية

أولا:أهمية مداخل قصور الحمادية

تلعب مداخل قصور الحمادية دورًا مهمًا في تصميم هذه القصور، حيث تساهم في إضفاء لمسة جمالية عليها. كما أنها تعكس ثقافة وحضارة المنطقة، حيث تعكس المهارات الفنية والحرفية للسكان المحليين.

وبناءً على هذه المقدمة، يمكن القول أن مداخل قصور الحمادية تعد من أهم عناصر أسلوب العمارة الحمادية. وتتميز هذه المداخل بتصميمها الفريد وزخرفتها الرائعة، التي تعكس ثقافة وحضارة المنطقة.

1-أهم عناصر تصميم مداخل قصور الحمادية

تتميز مداخل قصور الحمادية بالعديد من العناصر التصميمية، من أهمها:

- الشكل الهندسي :تتميز مداخل قصور الحمادية بأشكالها الهندسية المميزة، مثل المثلثات والمربعات. وقد تم تصميم هذه المداخل بحيث تبدو وكأنها بوابات ضخمة تؤدي إلى عالم آخر.
- الزخرفة :تتميز مداخل قصور الحمادية بزخرفتها الرائعة، التي تعكس ثقافة وحضارة المنطقة. وقد تم تزيين هذه المداخل بأشكال هندسية ونباتية وحيوانية، بالإضافة إلى النقوش الكتابية.
- المواد المستخدمة :تم بناء مداخل قصور الحمادية باستخدام مواد محلية بسيطة، مثل الطين والحجر. وقد تم تصميم هذه المداخل بعناية لتكون مقاومة للظروف المناخية القاسية في الصحراء.

2-أنواع مداخل قصور الحمادية

توجد العديد من أنواع مداخل قصور الحمادية، من أهمها:

- مداخل العقود :تتميز هذه المداخل بوجود عقد فوق الباب، وقد تم تزيينها بأشكال هندسية ونباتية وحيوانية.
- مداخل القناطر :تتميز هذه المداخل بوجود قنطرة فوق الباب، وقد تم تزيينها بأشكال هندسية ونباتية وحيوانية.
- مداخل الغرف :تتميز هذه المداخل بوجود غرفة صغيرة فوق الباب، وقد تم تزيينها بأشكال هندسية ونباتية وحيوانية.

ثانيا:أهمية مداخل قصور الحمادية

تلعب مداخل قصور الحمادية دورًا مهمًا في تصميم هذه القصور، حيث تساهم في إضفاء لمسة جمالية عليها. كما أنها تعكس ثقافة وحضارة المنطقة، حيث تعكس المهارات الفنية والحرفية للسكان المحليين.

أولا: الأبواب

لقلعه بني حماد ثلاثة أبواب هي باب الأقواس ، من الناحية الشمالية ، باب الجنان من الناحية الغربية ، وباب جرواه في الناحية الجنوبية ولما يبقي لنا من هذه الأبواب إلا باب واحد تظهر معالمه وهو باب الأقواس [1]

[1] نبيل بوعريوة : المرجع السابق : ص 1

أ . باب الأقواس : من خلال الحفريات بناحية باب الأقواس لم يجد له اثر ، ولم يبق إلا مكانه و أثار السور على يمنيه ويساره تبين أن السور موجود على يسار الباب الذي كان محصن بدعائم.

ومدخل باب الأقواس كما هو موضح من اسمه فهو يعتبر من المداخل الحربية ذات الموقع الاستراتيجي خصوصا وانه يشرف على مكان وعر وصعب يصعب اقتحامه بسهولة من قبل الأعداء المهاجمين للمدينة ونحن لا نستبعد أن يكون هذا المدخل من أهم مداخل القلعة جميعها لأهمية موقعه الاستراتيجي من جهة وقوة وضخامة بنائه من جهة أخري

ومن هذا الباب كانت تخرج طريق متعرجة تقطع منحدرات الوعرة وتنزل إلى شعاب وادي فرج[1].

ب . باب جرواه : يعتبر المدخل الثاني من مداخل القلعة ، عرف باسم باب جرواه نسبة الى قبيلة التي تحمل هذا الاسم ، يقع بالجهة الجنوبية من سور القلعة ويعتبر المدخل الوحيد الى القلعة حيث يتصل بجسر الذي يعتبر أحد المسالك الرئيسية الموصلة الى القلعة آنذاك [2].

ج . باب الجنان :يقع هذا المدخل شرق المدينة ووقوعه في هذه الجهة أكسبه أهيمه سياسية واقتصادية ،وكان الهدف من استخدام هذا الباب من اجل الحماية من أي خطر لاسيما عندما

[1] نبيل بوعريوة : المرجع السابق : ص 18

[2] رشيد بورويبة : المرجع السابق ، ص 203

يكون المدافعين في حالة انسحاب الى الداخل بعد خروجهم منها ، وتعتبر حجارة الدبش هي المادة الأساسية الأكثر استعمالا ، تتخللها في أماكن متعددة مادة الطين[1]

ثالثا: أهم أبواب مدينة بجاية

مدينة بجاية..ككل مدينة عريقة و متحضرة نجد لها شواهد على عراقتها و من بين الشواهد التي تؤرخ المدينة الأبواب تاوورت أو تاقورت أو تابورت و من أبواب بجاية ال 11 ما يلي:

1_باب المرسى :و هو المؤدي إلى مسجد أبي زكريا الزواوي، وعند باب المرسى مقبرة، دفن فيها عبد الحق الإشبيلي وأبو زكريا الزواوي وغيرهم من الأعلام ، والمرسى القديم عند خليج بجاية عند مسجد أبي زكريا الذي كان ملائما لإرساء السفن البحرية

2 **_باب أمسيون**، وخارجه مقبرة تقابل الباب، و تسمى بمقبرة الفقيه القاضي أبي محمد عبد الله بن حجاج ودفن بها أبو علي المسيلي، وهذا الباب هو المؤدي إلى الجبل، و أمسيون هو جبل #قورايا، وبالجهة الأخرى من المدينة جبل #خليفة، ومنه المدخل إلى باب اللوز إلى قصبة بجاية

3 **_باب رأس السور**

4 **_باب الخوخة** : وهو نفس التسمية لإحدى أبواب البليدة و تعني كلمة الخوخة او الخويخة او ناخوخت الباب الفردية التي تكون جزء من باب عملاقة يمكن المرور منها دون الحاجة لفتح الباب العملاق

[1] صالح بن قربة: المرجع السابق ، ص321

5_بابعزون و نفس التسمية لإحدى أبواب العاصمة و ذكرت هذه البوابة في فيض العباب لابن الحاج النميري صفحة 267

6 **_باب اطنة** : و التي تعني الداخلية و هي الموجودة بالحومة و التي عرفت بباب الحومة وكان به سويقة، أي سوق صغيرة

7 **_باب اللوز**: وكان من مداخل قصبة بجاية القديمة، إذ لما جاء بنو غانية طلعوا على جبل الخليفة ودخلوا من باب "اللوز" إلى قصبة البلد وتملكوا البلد، ولم يكن فوق باب اللوز سور في ذلك الزمان

8 **_باب المرقوم**: وهو مقابل جبل خليفة ..المرقوم لأنه تم نقشه برسومات تزينية

9**_باب البنود**: و الذي يعني العلم الكبير و الذي يتقدم القافلة و الذي هو الآن باب الفوقة، وعنده مقبرة، وخارجه حومة بئر مسفرة.

10 **_باب البحرو المسكى**: كذلك ب باب السراسنة و السراسنة كلمة يونانية كان الرومان يسمون بها العرب و سكان الصحراء ثم توسع الإسم ليشمل المسلمين بمختلف أعراقهم وكان بحومته سوق

11 **_الباب الجديد**:[1] وكان عنده مقبرة و هو المذكور في كتاب عنوان الدراية للشيخ الغبريني[2]

[1] الملحق رقم6

[2] https://fibladi.com/plus/

المبحث الثاني : العمارة في القصور الحمادية القلعة وبجاية

اولا : تنوع وتعدد القصور الحمادية

مما لا شك فيه أن الدولة الحمادية عرفت ازدهارا حضاريا خاصة في العمارة المدينة مما جعل الكثير من المؤرخين والرحالة والشعراء الإشادة بقصورها ، حيث يذهب جلهم أن تلك القصور الحمادية من أهم آثار حضارتها ، ومن هذا لابد النظر في تاريخ قصورها والإجابة على الكثير من الأسئلة، ومن بينها من كان وراء تشييد وبناء القصور الحمادية وفي أي فترة زمنية بنيت؟

تنوعت وتعددت القصور الحمادية بالقلعة وبجاية مما جعل النصوص التاريخية تتناول الحضارة الحمادية وتتحدث عن قصورها وصفا وإشادة، إلا أن الحديث عن تشيد تلك القصور وبنائها بقي غامضا نوعا ما ، فلا نجد إلا ما قاله العلامة ابن خلدون، بالإضافة إلى مصادر أخرى تحدثت عنها ومن بينهم صاحب كتاب الاستبصار ، وحسن الوزان، والنميري.

تم اختيار القلعة لتكون عاصمة الدولة الحمادية سنة 398هـ/1007م، وهذا لم يكن من باب الصدفة وإنما للموقع الاستراتيجي التي تقع فيه، وبعد عامين من التخطيط تم تعمير القلعة واستقلال أول أمرائها حماد بن بلكين، قام بالعديد من الإنجازات ومن بينها بناء الأسوار والمساجد، والفنادق،[1] ولكن لم تذكر المصادر التاريخية أنه قام ببناء وتشييد القصور ولم تذكر النصوص التاريخية هذا، ومثال ذلك ما قاله ابن خلدون عن حماد بن بلكين: ... اختط مدينة القلعة بجبل

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 228.

كتامة ... وتمصرها على رأس المائة الرابعة وشـيد من بنيانها وأسوارها واستكثر فيها من المساجد والفنادق فاستبحرت في العمارة واتسعت في التمدن»، حيث نراه هنا ينسب لحماد العديد من الإنجازات الحضارية، ولكنه لم يحدد بالضبط بناء وتشييد قصور بالقلعة.

أما الفترة التي تلي حماد هي عهد القائد ابن حماد والتي لم تذكر المصادر التاريخية في هذه الفترة بوجود قصور حمادية، وبعد يأتي عهد محسن بن القائد لم يكن هناك أي ذكر أيضا للقصور، وبالنسبة لعهد بلكين بن محمد لم يقم بإنجازات عمرانية في القلعة والمعنى من هذا أنه ربما عرفت فترة الحكام الثلاث تراجعا عمرانيا، لأنهم كانوا مهتمين بالجانب السياسي وبالحروب، فبداية قيام الدولة الحمادية لم تخبرنا المصادر التاريخية ببناء ولو قصر واحد.

وخلال فترة حكم الناصر بن علناس الذي لعب دورا كبيرا في تطور الدولة الحمادية، بحيث نقلها من الجانب السياسي إلى الازدهار والرقي الحضاري خلال القرن الرابع الهجري، والذي يعتبر عصــره ذهبيا بالنسبة لتاريخ الدولة الحمادية، انتعشت فيه المعالم العمرانية وأصبحت من الدول التي عرفها العالم الإسلامي خلال الفترة الوسيطة، وذلك من خلال بنائه للقصور العجيبة والمؤنقة.

ومن النصوص التاريخية التي تحدث عنه نجد ابن خلدون، الذي أخبرنا أنه نقل العاصمة إلى بجاية فبنى بها قصر اللؤلؤة، وقصر أميمون ، وقصر بلارة، كما بنى بالقلعة قصر الملك وقصر المنار وقصر الكوكب وقصر السلام، ولما أوى الناصر إلى الأميرة بلارة، أحبها حبا شديدا، وابتنى لها القصور في القلعة وبجاية، وأحاط بها الحدائق الأنيقة، وجلب لها كل ما تشتهي

الأنفس، وتلذ العين، واختصت بإيوان في قلعة بني حماد يسمى قصر بلارة، وفي خرابه يقول الشاعر الصنهاجي أبو عبد الله محمد نادبا أطلاله[1]:

إن العروسين لا رسم ولا طلل .. فانظر ترى ليس إلا السهل والجبل

وقصر بلارة أودى الزمان به .. فأين ما شاده منها السادة الأول

وخلفه ابنه المنصور فبقي عامين في القلعة وأكمل ما تركه أبيه، حيث قام بتجديد وتشييد القصور، وذلك حسب قول ابن خلدون: «فاتخذ بجاية هذه معقلا... وجدد قصورها وشيد جامعها...تأنق في اختطاط المباني وتشييد المصانع واتخاذ القصور وإجراء المياه في الرياض والبساتين، فبنى في القلعة قصر الملك والمنار والكوكب وقصر السلام، وفي بجاية قصر اللؤلؤة وقصر أميمون».[2]

وبناء حوالي خمس قصور في فترة معينة يدل على تألق الناصر بن علناس في بناء القصـور، وبالتالي بلغت الدولة الحمادية أوج ازدهارها واتساعا لحضارتها في المغرب الأوسط، فأصبحت قصورها محل تقليد للعديد من القصور في العالم الإسلامي، وبعد وفاة المنصور بن علناس خلفه ابنه باديس والتي لم تتكلم النصوص التاريخية عن تشييد القصور في فترة حكمه، وربما يعود السبب في ذلك إلى خراب القلعة من قبل العرب الهلالية، والاهتمام بالجانب السياسي

[1] رشيد (بورويبة)، المرجع السابق، ص ص 70-71.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 232

وكثرة الحروب، وبالتالي إهمال الجانب الحضاري، ووجدنا نفس الأمر في عهد آخر أمرائها يحي بن العزيز، والذي كان مستضعفا ومولعا بالصيد، ولم يعرف عهده بناء القصور في تاريخ الدولة الحمادية، بل كان سببا في سقوطها على يد الموحدين. وانطلاقا من هذا التحليل التاريخي لحركة بناء القصور الحمادية بالقلعة وبجاية، يمكن القول أن أهم فترة عرفت فيها القصور ازدهارا ، هي فترة الناصر بن علناس وابنه المنصور اللذان قاما بالتعاون في بناء وتخطيط القصور بالقلعة وبجاية، ففي القلعة تميزت القصور أنها كانت بنايات للاستقبالات الرسمية وأيضا دارا للعدل، وفي بجاية أضيفت لها مهمة عسكرية، باعتبارها كانت حصون وقلاع حربية للحراسة كقصر اللؤلؤة، وهذا ربما تأسيا بقصر المنار في القلعة.

ومن المصادر التاريخية المكتوبة التي نقلت ووصفت وصف دقيق للقصور الحمادية نجد ابن حميديس الصقلي الذي خصص قصيدتين لوصف قصر المنصور ببجاية بقوله: [1]

قصر لو أنك قد كحلت بنوره .. أعمى لعاد إلى المقام بصيرا

نسي الصحيح من المليح بذكره .. وسما ففاق خورنقا وسديرا

ولو أن بالإيوان قوبل حسنه .. ما كان شيئا عنده مذكورا

أعيت مصانعه على الفرس الأولى.. رفعوا البناء وأحكموا التدبيرا

[1] رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 246

ومضت على الروم الدهور .. وما بنوا لملوكهم شبها له ونظيرا

وقال في القصيدة الثاني وهو يخاطب المنصور [1]:

أعليت بن النجم والدبران .. قصرا بناه من السعادة بان

فضح الخورنق والسديرا بحسنه .. وسما بقمته على الإيوان

فإذا نظرت إلى مراكب فلكه .. وبدت إليك شواهد البرهان

أوجبت للمنصور سابقة العلى .. وعدلت عن كسرى أنو شروان

قصر يقصر وهو غير مقصر :: عن وصفه في الحسن والإحسان

فعادة ما يكون الإبداع الحضاري ناتجا عن ازدهار المجتمع وترجمة لحالة الاستقرار السياسي والاجتماعي التي يعيشها، وهو ما ينطبق على الدولة الحمادية في عهدي الناصر بن علناس وابنه المنصور، حيث عاشت في التطور والازدهار أكثر من نصف عمرها، وتجلى ذلك في الناحية العمرانية ومنها تشييد القصور.

[1] رشيد (بورويبة)، المرجع السابق، ص 247

ثانيا: المباني والزخارف والهندسة الدينية والمدنية

أ-المباني الدينية

1-مسجد المنار

مسجد صغير بقصر المنار يبلغ طوله 1,80م وعرضه 1,70م وندخله من باب عرضه 74سم وارتفاع جداره الشمال 76سم ، ويبلغ عرضه 1,02م ، ويفصل المسجد عن صحن القصر ، فهو عديم الزخارف ويبلغ ارتفاع الجدار الغربي 1,03م ،وعرضه 1,,80م وسمكه 76 سم[1]

يوجد بقصر المنار مصلى صغير استطاع الأستاذ رشيد بورويبة سنة 1968 أن يكتشفه أثناء الحفريات التي قام بها في قصر المنار، فهو عبارة عن مصلى صغير اكتشفه في الجهة الجنوبية يبلغ طوله 1.8 م، وعرضــه 1.70 من وارتفاع 2.20م ، يوجد فيه محراب ذات مشكاة نصف دائرية الشكل، وفي وسط كاة المحراب يوجد كتابان تحتويان على آيات من القرآن الكريم، زخارف محراب هذا المسجد لا مثيل لها في الفن الإسلامي وعقد محرابه نصف الدائري لم توجد في أي مسجد آخر إلى في محراب مسجد قبة الصخرة بالقدس الذي يرجع تاريخه إلى عهد عبد الملك بن مروان، ومن مميزاته أنه أصغر مسجد في العالم الإسلامي، وفيما يخص زخارف مشكاة المحراب

[1] رشيد بورويبة: المرجع السابق ، ص 216

فتحتوي على زخارف من الكتابات مشتبكة تحيط بزخرفة نباتية فتشمل هذه الأخيرة على غصن وأوراق بسيطة وزهيرات ذات ثلاث فصوص. [1]

وقد اكتسى هذا المسجد أهمية كبيرة نظرا لكونه اصغر مسجد في العالم الإسلامي كله إضافة إلى انه يعتبر المسجد الوحيد التابع لقصر يرجع تاريخه إلى العصر الإسلامي[2]

فهو مزين بكتابة منقوشة في الحصن تحتوي على جزء من الآية 36للسورة24: ((.....اسمه يسبح له فيها بالغدوة ...)). أما الجدار الجنوبي يبلغ ارتفاعه 2,20م ، نري فيه محرابا ذا مشكاة نصف دائرية الشكل يبلغ عرضها 86سم و عمقها 53سم .

تتواجد كتابات في وسط محراب تحتوي على آيات للقرآن الكريم، فالملاحظ للكتابة الأولى أفقية تحتوي على السورة 112 ((قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد))[3] ، أما الكتابة الثانية من الآية 18من سور أل عمران وقد تكونت من أربع قطع:

1. ش (هد الل) له
2. انه لا إله إلا هو وا
3. لملائكة وأولو (معلم) قائما بالقسط لا إله إلا هو

[1] رشيد (بورويبة)، المرجع نفسه، ص 272

[2] كريمه عليوات ، أمينة لطرش : المرجع السابق، ص 98

[3] سورة الإخلاص ، الآية 04

2- المسجد الكبير

شيد هذا الجامع سنة 398هـ/1007م[1] ، ويظهر هذا المسجد كثيرا الشبه في تخطيطه بمسجد القيروان ، إلا انه يختلف عنه فيما يخص الأعمدة المقصورة ، فمقصورة مسجد القيروان حديثة العهد ، يصلى داخلها الأمراء احتياطا لما قد يطرأ عليهم من اعتداءات أخذ عنهم الحماديون هذه العادة [2]

إضافة لكونه الجامع الرئيسي الكبير الذي يعتبر أل مسجد حمادي أقيم في المغرب الأوسط منذ تأسيس القلعة ، وهو من أهم المرافق في المدينة بدل طابعها الإسلامي مركزها الحقيقي وحسب رؤية ابن خلدون يفترض أن مسجد القلعة قد بني سنة 398هـ والذي يذكر أن المدينة بنيت في السنة المذكورة وهي عادة مألوفة عند إنشاء المدن الإسلامية، فكان المسجد أول ما يخط ثم دار الإمارة ، ثم الوحدات السكنية [3]

يقع الجامع قرب دار الإمامة أو قصر البحر في القسم الجنوبي ، وهو أول عمل فني معماري أقامه الحماديين منذ وصولهم إلى الحكم وهو المسجد الوحيد الذي تحدث عنه العديد من العلماء والمؤرخين و هو شكل مستطيل

[1] طويل العبيدي : قلعة بني حماد عوامل الجذب ورؤية الاستقلال السياحي ، جامعة سطيف ،2ص209

[2] محمد الطمار : المغرب الأوسط في ظل صنهاجة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ،2001ص 221

[3] ريمة عليوات ، أمينة لطرش : الحياة الثقافية في المغرب الأوسط في عهد الدولة الحمادية ،مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط (الإسلامي) ، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة أكلي محمد الحاج ، البويرة، 2014.2015/ 1435.1436، ص97

يقع محراب المسجد في نهاية المحور الأوسط وهو يقابل المئذنة وكشف ،pal blanchet سنة 1897م عن وجود مح ارب ثالث وهو ذو شكل نصف دائري ، ويقع الجدار الفاصل بين قاعة الصلاة والصحن ، أما صحن المسجد كان يستعمل في فصل الصيف[1].

يبلغ طول صحن المسجد 53,20م ، عرضه 26,90م ، انه مفصول عن بيت الصلاة بجدار ذي أبواب وكانت ثلاثة أبواب مفتوحة في السور الذي يحيط به احدها شرقي والثاني غربي والثالث من جهة الشمال والباب الأخير يؤدي إلى سلم عدد درجة يبلغ تسعة فهو مسدود حاليا وفي وسطه نجد جبا يبلغ طوله 11,18م عرضه 5,40م وارتفاعه الداخلي 2,80 م^2

ب-المباني المدنية:

ازدهر العمران في فترة حكم بني حماد في قلعة ، و أراود أن يباهوا غيرهم من الشعوب في بناء القصور وتشيدها ، ووجدت العديد من القصور منها قصر المنار وقصر البحر وقصر السلام وقصر الكوكب ، ولهذه القصور عدة مميزات فكل قصر يختلف عن الأخر من حيث الشكل والمساحة

ومن القصور التي جرت فيها الحفريات وقام الأثريون باكتشافها في القلعة نذكر:

قصر المنار، قصر البحر، قصر السلام.

[1] سماء مختاري : قلعة بني حماد الوزن السياسي والدور الحضاري في العهد الحمادي ، مذكرة لنيل شهادة الماستر حاضرة المغرب الإسلامي ، قسم العلم الإنسانية ، جامعة مولاي طاهر ،2سعيدة ، ص 144

[2] معروف بلحاج : المرجع السابق ، 96

1-قصر المنار : يوجد قصر المنار بالقلعة الحمادية وأول من قام ببنائه الناصـر ثم أكمله المنصور، ويسمى كذلك بقصر الشارات، ويعرف باسم المنار نسبة إلى برج المنار المجاور له وهو عبارة عن حصن منيع يقع شمال شرقي حي جراوة[1]، ويعتبر هذا البرج من أبرز معالم الإبداع الهندسي الحمادي بالقلعة

1.1- الهندسة المعمارية لقصر المنار

مباني قصر المنار متلاصقة بعضها البعض جنوبية وشمالية، فالمباني الجنوبية تنقسم إلى ثلاثة أقسام، القسم الأوسط، والقسم الشرقي، والقسم الغربي، فللقسم الجنوبي الأوسط واجهة طولها 60/92 متر محصنة مسطحة القعر مكللة بقوس نصف دائري وبابها نتوء بالنسبة لواجهة القصر وله ثلاث واجهات شرقية غربية وجنوبية، وبالنسبة للقسم الجنوبي الشرقي مبني في وسط وادي فرج ، أما القسم الجنوبي الغربي فيوجد به صحن مربع تحيط أروقة من جهاته الأربع ، المباني الشمالية بقصر المنار عبارة عن مجموعات مختلفة متلاصقة بالقسم الجنوبي الأوسط، توجد بها غرف وقاعات كبيرة وأخرى مستطيلة ويوجد أيضا سطح على شكل مربع.[2]

الفكرة من هذا أن قصر المنار بني بتخطيط وأسلوب فني معماري بديع، بحيث كانت تتخلله أحواض من الزهور والأشجار المثمرة، زيادة عن ذلك نافورات المياه من كل الجهات وتوجد قربه ثلاثة أحواض ألا وهي الحوض العلوي للقصر مستطيل الشكل يبلغ طوله 4.46 متر وعرضه

[1] أسماء (مختاري)، قلعة بني حماد الوزن السياسي والدور الحضاري في العهد الحمادي، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة، تخصص: تاريخ وحضارة الغرب الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2015-2016، ص 146

[2] رشيد (بورويبة)، المرجع نفسه، ص ص 264-266

1.30 متر، وعمقه حوالي 0.40 متر تصله قناة في الأرض، والحوض السفلي مستواه أقل من الأول بمرتين مزين بمشكاوات مقعرة نصف دائرية من الداخل، وثالث حوض على شكل مستطيل موجود جنوب المدينة ، أما بالنسبة إلى حيطان قصر المنار فتشبه حيطان مئذنته مصنوعة من صخور غير منحوتة متشابكة من الداخل على عكس الخارج الذي حجارته منحوتة فهو مغطى بقبة لا تزال آثارها ظاهرة إلى اليوم، وتحاط به قاعات مختلفة من بينها المسجد. [1]

ويوجد بقصر المنار جب يحتوي على قسمين متوازيين وكاز للماء يسيل من القسم العلوي إلى القسم السفلي بواسطة خمسة أبواب مسقفة وقناة تجمع المياه المطرية التي تسيل في سقوف قصر المنار وتؤدي بها إلى الجب، ومن هذا قصر المنار كان صرحا عاليا له

صومعة تشمل على جملة مرايا لإرسال العلائم في النهار ، حيث توقد بأعلامها النار بالليل

للتراسل، ويعتبر هذا أسلوب كان ساريا في ذلك الوقت.[2]

يوجد بقصر المنار الشادورانات مزينة على شكل أقواس ثلاثية متوازية، بحيث كانت هذه الشادورانات توضع تحت العيون وعثر أيضا على حوض في وسط صحن القسم الغربي لقصر المنار على شكل جذع هرم يعلوه جسم وسط الأضلاع وما يزيد في قمة هذا الحوض أنه مزين بأربع أسد مندرجة في أصناف الدوائر وترمي المياه من أفواهها.

[1] رشيد (بورويبة)، المرجع السابق، ص254

2 مرزوق (العمري)، آثار بني حماد شاهد على روعة المعمار الإسلامي في الجزائر، جامعة باتنة، الأربعاء 24 فيفري 2010، الساعة، 15:58

يقع قصر المنار في الناحية الشرقية من القلعة على منحدر صخري وعرّ يتكون من عدة بنايات متوضعة فوق بعضها البعض[1]

أو كما يسمي أيضا برج المنار أو بقصر الإشارات[2] ،يعتبر من ابرز المعالم الهندسية التي تم تشيدها من قبل الحمادين ويذكر لنا ابن خلدن أن المنصور كان مولعا بالبناء وتفنن في اختطاط المباني وتشيد المباني واتخاذ القصور فبني في القلعة قصر المنار وقصر الملك .

وهو عبارة عن صرح عالي البناء له صومعة تشمل على جملة من مرايا الإرسال للعلامات في النهار وتوقد بأعلاها النار بالليل للتراسل حسب أسلب معروف القائمة من جبل إلى جبل يقع في القسم الشمالي للمدينة وفي المكان الأكثر علو لحى جراوة ، يقال انه اخذ اسم قصر المنار من البرج الذي يجاوره من الجهة الجنوبية[3].

2.1-زخرفة قصر المنار:

مباني قصر المنار مزخرفة فهي تمثل بدائع الزخرف الفني الإسلامي القديم، فكانت قاعاته مبلطة بالرخام وجدرانه مزينة في الأسفل بألواح من الرخام وفي الأعلى زخارف نباتية تشكل قلوبا وزهورا ثلاثة الصفوف مخططة وحلزونية الشكل، ولجمال هذا القصر أصبح يقلدونه، حيث لاحظ المؤرخون المسلمون تشابه في قاعات قصر المنار وقصر القبة في بلرم (صقلية)، وهذا دليل على

---

[1] De Beylie (L), la Kalaa des Bani Hammad, Ernest, le roux éditeur, Paris, 1909 , p 39.

[2] عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، 277

[3] بيل بوعويرة : طرق حماية المعالم التاريخية من خلال د ارسة أثرية لقصر البحر بقلعة بني حماد ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في صيانة والترميم ،معهد الآثار ، جامعه الجزائر ، ،2007/2008ص 19

أنهم استوحوا نماذجهم من جمال هذا القصر، ودليل أيضا على مدى قوة بني حماد واهتمامهم الزائد بالفن المعماري في ذلك الوقت[1]

وضف إلى ذلك أنه كانت توجد به العديد من التجان والأعمدة وما وجدوه من خلال الحفريات حوالي 750 قطعة من الفخار والحديد والجص والرخام، والنقود الفاطمية والموحدية[2]، وعثر أيضا على نموذج من التنميق المعروف باسم خلايا النحل، وهو عبارة

عن قطع من الحجر طولها متر واحد وعرضها 60 سم، وهو أقدم أثر يمثل هذا الزخرف في الفن الإسلامي.[3]

2-قصر البحر

إن قصر البحر المسمى بدار البحر من أهم ما تم اكتشافه من الآثار ، يقع شمال المسجد ويعد نموذجا لما بني في صقلية في النصف الثاني من القرن الثاني .

أخذ اسمه من الحوض الكبير الذي بداخله ، ويعد من أبرز القصور الحمادية و أكبرها، ويتميز بتفرده المعماري ولقد تعددت أسماء هذا القصر في المصادر المكتوبة فمنهم من

[1] إسماعيل (العربي)، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص127

[2] علاوة (عمارة)، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، أعمال الملتقى الدولي حول مدينة قلعة بني حماد ألف سنة من التأسيس (1427398هـ/1007-2007م)، أيام 9-10-11 أفريل 2007م، جامعة المسيلة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، ص 122.

[3] اسماعيل العربي ، المرجع السابق، ص127

سماه قصر الأمير ومنهم من سماه قصر الحكم .

تم اكتشافه سنة 1908م من خلال الحفريات التي قام بها دي بيلي ، ومن مميزات هذا القصر أن مدخله الشرقي يشكل قاعة صليبه الشكل [1] ،ويصف لنا صاحب الاستبصار القصر على أنه من المباني العظيمة في القلعة والقصور المنيعة ، وهذا القصر مشرف على نهر كبير وفيه الرخام والسواري وفي وسطه صهريج عظيم تلعب فيه الزوارق بداخله ماء كثير مجلوب على بعد.

يحتوى قصر البحر على تجمع سكاني هام يستهلك كمية معتبرة من المياه نظ ار لما يشتمل عليه من المنشات المائية ،من أحواض وصهاريج وبركة اصطناعية ، أما القصر فيقع أسفل المنحدر بقمة تقربوست ، له شكل مثلث ،طوله المحوري من القاعدة إلى القمة 250م وعرضا 159م ، وهو محاط بسور مكون من جدارين[2]

[1] خالد بالعربي : المرجع السابق ، ص 29

[2] نور الدين بن خرباش :نظام منشات الري في قلعة بني حماد دراسة أثرية ،معهد الآثار ، جامعه الجزائر ،2008،2009 ، ص31

فقصر البحر مزال قائم يحتوي المدينة على حافة الهضبة المطلقة على وادي فرج العميق[1]

بني قصر البحر بالتعاون بين الناصر والمنصور بالقلعة الحمادية، وكان موقعه وسط مدينة القلعة قريب من المسجد الكبير، حيث يقع في الجهة الشمالية له، ويبعد عنه ب 150م، وتقدر مساحته بـ 67/159م وسمك جدرانه 2م، ويظهر كأنه قصبة، وكان يطلق عليه قصر الخلافة، قصر الحكومة، دار الإمارة أو قصر الملك، ويمثل مدينة سكنية أرستقراطية يقيم بها الجهاز الحاكم، وحظي بعناية خاصة من قبل الأمراء الحماديين وذلك لاعتباره أعظم وأهم القصور الحمادية، هذا ما جعله اهتمام للعديد من المؤرخين من بينهم صاحب الاستبصار الذي قال عنه : «...ولبني حماد بالقلعة مباني عظيمة وقصور منيعة متقنة البناء عالية السناء منها قصر يسمى بدار البحر، وقد وضع في وسطه صهريج عظيم تلعب فقيه الزوارق بداخله كثير من ماء مجلوب من بعد وهذا القصر مشرف على نهر كبير وفيه من الرخام والسواري ما يقصر عنه الوصف وفيه قصور غير هذا وفي مباني عجيبة وفيها آثار للأواني عجيبة».

3-- قصر السلام:

[1] لهادي روجي إدريس : المرجع السابق ، ص 99

يعتبر قصر السلام من أهم البنايات التي لها أثر في الفن المعماري الحمادي، فقد قام الأستاذ لسويان غولفين بالبحث عنه أثناء الحفريات بقلعة بني حماد، وتتجلى لنا المعالم الفنية والمعمارية لهذا القصر بأنه ينقسم إلى قسمان، قسم علوي وقسم سفلي، القسم العلوي له سور من الحجر مربع محصن ببرج في زواياه الأربعة وهو يشبه القصور التي شيدها الأمويين في الشام والأردن، ويشبه أيضا قصر المنار وقصر البحر فهو مزين بمشكوات مسطحة القعر وتوجد حوله قاعات مختلفة المقاسات والشكل غربية وشرقية، ويوجد آثار لسلم يدور حول نواة مركزية تؤدي إلى الطابق الأول، أما بالنسبة للقسم السفلي لم تكمل عليه الحفريات إلا وجود صحن وغرف مختلفة الشكل، بالإضافة إلى المقاسات والمطامير[1]، والأربع الغرف التي يتكون منها قصر السلام ويوجد به حجر صغيرة تؤدي إلى قاعة مستطيلة يبلغ طولها 17.75م وعرضها 2.75م.[2]

والأرجح أن يكون موقع قصر السلام في الجنوب الغربي من المدينة قرب باب الجنان

محايدا للشارع المؤدي من باب الجنان إلى باب الأقواس ولم يبق من هذا المبنى سوى آثار حيطانه المنتشرة وسط المزارع.

1 رشيد (بورويبة)، المرجع السابق، ص 270.

2 خالد (بلعربي)، المرجع السابق

ومن الملاحظ أنه توجد قصور أخرى بالقلعة الحمادية منها قصر الكوكب الذي لم تجرى عليه حفريات إلى يومنا هذا وكل ما هو موجود عليه إلا أنه يوجد بين قصر السلام وقصر البحر، بالإضافة يمكن الإشارة إلى اختفاء العديد من القصور التي لم تصلها الحفريات ومن بينها قصر العروسين، بلارة، وقصر حماد، وتهدم جزئي لقصر الخلافة والكوكب العلوي وقصر الملك أيضا

ومما يلاحظ حول القصور الحمادية أيضا أنها بنيت محاذية للشارع الرئيسي للقلعة الذي يربط بين باب الأقواس الجنان، ويعتبر وحسب المعطيات أن قصر البحر الذي يحتل مركز القلعة هو مقر الأمراء الحماديين ، وضف إلى ذلك أن القصور الحمادية بالقلعة

تميزت بالتخطيط الهندسة المعماري وهذا يعتبر دليل على ذكاء المهندس الحمادي وقدرته على التخطيط الملفت للنظر، مما جعل القصور الحمادية محل تقليد عند الكثير من القصور الإسلامية[1]

[1] اسماعيل (العربي) ، المرجع السابق ، ص128

خلاصة الفصل الثالث:

من خلال الدراسة التاريخية والفنية التي قمنا بها حول إنشاء القصور الحمادية تبين لنا أن فترة الاستقرار والهدوء التي مرت بها الدولة الحمادية في عهد الناصر بن علناس وابنه المنصور عرفت أغلب الإنجازات الحضارية، لا سيما في ميدان العمارة والفنون، فهذا الأخير قام بإعادة تشييدها وجددها ذلك لأنه كان مولعا ببناء القصور، فقصوره تركت بصمة الحضارة الحمادية، فتنوعت بين تشابه واختلاف في التصميم والهندسة والعناصر المعمارية وكذلك الزخرفة الفنية

تمهيد :

وتعتبر القصور الحمادية من أهم ما خلفته الدولة الحمادية خلال فترة قيامها في المغرب الأوسط، وإن كانت تنتمي إلى نفس الطراز الإسلامي فإن هناك نقاط تشابه واختلاف فيما بينها ، نظرا لطبيعة الهندسة المعمارية والزخرفة الفنية الجمالية، فلكل قصـر سـماته الخاصة سواء في القلعة أو في بجاية، وسوف نقوم بدراسته في هذا الفصل للوقوف على أوجه الشبه والاختلاف بينها من الناحية التاريخية والفنية انطلاقا مما درسناه مسبقا.

المبحث الأول : دراسة فنية للقصور الحمادية في القلعة وبجاية.

الهندسة المعمارية والزخرفة الفنية أهم ما ميز الدولة الحمادية، ، وهناك عوامل ساعدت على تطور الفنون عند الحماديين كالحياة الهادئة والمترفة، وازدهار المجتمع ورخائه، وقيام السياسة الحمادية على السلم، وتبادل التأثير والتأثر مع مع الأندلس والمشرق العربي، محتفظة لنفسها بخصائص مستقلة، خاصة في الهندسة المعمارية والزخرفة[1]، وذلك لاهتمام أمرائها بالتخطيط والرسوم خاصة في قصورهم، فكان لكل قصر تخطيط خاص به وزخرفة تميزه عن غيره، وللوقوف على الجوانب الفنية للقصـ ور الحمادية ارتأينا أن نعالجها من الجوانب التالية:

أولا–التصميم والهندسة :

بنيت القصور الحمادية بأماكن عالية ترى منها الأحياء، حيث عند هندستهم للقصور كانوا يهتمون بالبساتين المحيطة بها والحدائق العامة وتوجد وسط البنايات شاذروانات تجري إليها المياه من أفواه الحيوانات، وقد وجدت قطع منها في القلعة إحداها في قصر البحر وقصر المنار وهي من الرخام الأشهب المزين بحزوز متعرجة، ومن القطع التي وجدت بقصر المنار نذكر قطعة مزينة بحزوز على شكل أقواس ثلاثية الفصوص وزهرة ذات خمس تويجات وثلاثة أسماك متوازية، وكانت هذه الشاذروانات توضع تحت العيون[2].

---

[1] عبد الحليم (عويس)، المرجع السابق، ص ص 271–272.

[2] رشيد (بورويبة)، المرجع السابق، ص 301

ولعل أهم ما تشترك فيه هو أن عند هندسة القصور لابد أن تكون عيون كثيرة وسطها وذلك لضرورة وفرة مياه الشرب، وكذلك تلطيف الجو أوقات الحرارة، ولإضفاء الطابع الجمالي عليها، فقال ابن حمديس وهو يصف الماء يسيل على الشاذروان بقوله:[1]

والماء منه سبائك من فضة .. ذابت على دوحات شاذروان

كأنما سيف هناك مشطب .. ألقته يوم حرب كف جبان

وبالنسبة إلى التصميم وهيكلة القصور الحمادية، فهي كانت عبارة عن طوابق توجد بها غرف من فوق ومن تحت، كما احتوت بعض القصور على مساجد من الداخل، مثل مسجد أو مصلى صغير في قصر المنار، وألحق المنصور كذلك مسجد في قصر اللؤلؤة، وهذه السمات تشترك فيها القصور الحمادية في التصميم والهندسة.

ثانيا-العناصر المعمارية: والتي تتمثل في:

1-**الأبواب** : تشابهت أبواب القصور الحمادية من خلال أبوابها المخرمة والمنقوشة وألواح من الرخام.

2-**النوافذ:** كانت نوافذ القصور الحمادية معظمها مطلة على البحر كبجاية أو على أماكن

[1] رشيد (بورويبة)، المرجع نفسه، ص 249.

عالية كالقلعة.

3-**القباب:** توجد قباب في كل من قصر اللؤلؤة وقصر المنار ، أما القصور الأخرى فلم يذكر ذلك

ج-الزخرفة الفنية: وعن هذا يقول عبد الحليم عويس: «فبرز فن الزخرفة الحمادي في القصور كفن متقدم ذي ملامح إسلامية عربية وبربرية وهذا دليل على تقدم كبير في هذا الفن وغيره من الفنون المتعلقة به كالرسم والنحت والحفر [1]» ، فعمل الحماديون على كسـوة كل المساحات بالجص، وكانت القاعات مفرشة بالرخام إلى جانب التزيين والنقش بالذهب واللازورد والرسـومات الزيتية الحائطية، وكذلك تزيين الجدران بألواح من الرخام، فتنوعت واختلفت الزخارف الفنية في القصور الحمادية بين نباتية وهندسية وحيوانية وكتابية، ومن أوجه الشبه في هذه العناصر نذكر:

1- **الزخرفة النباتية:** استوحى المعماري الحمادي الزخارف النباتية من العناصر الطبيعية، والتي تتمثل في قلوب وزهور ثلاثية ورباعية الفصوص، تختلف من واحدة لأخرى مخططة، وحلزونية الشكل وجدت في قصر المنار وكذلك في قصر اللؤلؤة.

2- **الزخرفة الهندسية** : تعتبر الزخارف الهندسية من أهم سمات الفن الحمادي، ومن أهم ما استعمل لتزيين حيطان قصوره حيث استعملوا العديد من الأشكال الهندسية من بينها المربعات،

[1] عبد الحليم (عويس) ، المرجع السابق، ص 274.

المثلثات الدوائر ونصف الدوائر ، فأي قصر لا يخلو من هذه الأشكال في تزيين الحيطان، وكذلك التزيين في السقف لكونها تقدم للناظر روعة الجمال لتلك المناظر الجذابة.

3- الزخرفة الحيوانية : استعملت أيضا رسومات حيوانية عديدة في القصور الحمادية، ومن بين الحيوانات التي تشترك فيها نجد الأسد، فوجدت صورة له في قصور القلعة وبجاية، ويصف لنا الشاعر بعض الزخارف الحيواني كالزرافة والحيتان والحيات في الأبيات التالية:[1]

وزرافة في الجوف من أنبوبها .. ماء يريك الجري في الطيران

مركوزة كالرمح حيث ترى له ..من طعنة الحلق انعطاف سنان

فكأنما ترمي السماء ببندق .. مستنبط من لؤلؤ وجمان

ثم ينتقل إلى وصف الحيات والحيتان بقوله.

وكأنما الحيات من أفواهها .. يطرحن أنفسهن من الغدران

وكأنما الحيتان إذ لم تخشها .. أخذت من المنصور عقد أمان

4-الزخرفة الكتابية: وجدت الكثير من الكتابية الفنية الجمالية في قصور القلعة، حيث عثر الأثريون على كتابات معظمها بالخط الكوفي ، وكذلك وجد هذا الخط بكثرة في قصور بجاية، وبما أن الخط الكوفي ظهر في القلعة أولا فيمكن القول أن بجاية تأثرت بالقلعة لأنها أخذته عنها.

[1] رشيد (بورويبة)، المرجع السابق، ص ص 250-251.

5- **فن النقش:** نفذ هذا الفن على الجص أو الحجارة أو الرخام، وقد وجدت منه العديد من التحف سواء في القلعة أو بجاية، ففي القلعة عثر على ساكف حجري مزين من جهة بكتابة كوفية ومن الجهة الأخرى بمربعات ثمانية الأسنان، كما عثر الأثريون على أسدين أحدهما من الرخام الأسود والآخر من الحجر الأصفر، إلى جانب الزخرفة الجصية التي تزين مسجد قصر المنار، وعثر الجنرال دو بايلي على تحف برونزية منقوشة منها طيران وجزء من قفل ورجل إناء وقطعة مزينة بزخارف نباتية وكتابية وهندسية. [1]

د-مواد البناء : لم يكن يوجد اختلاف في مواد البناء للقصور الحمادية بالقلعة وبجاية، وذلك بحكم أن الفترة بينهما لم تكن بعيدة، فاستعمل في بناء القصور نفس المواد والتي تتمثل في:

1-مواد البناء الأساسية وتشمل المواد الطينية بنوعيها المحروقة وغير المحروقة، وتشمل أيضا المواد الطبيعية، حيث استعمل الحجر بكثرة في البناء والرخام استعمله في التزيين وبناء الحيطان، ومن المواد التي تشترك فيها أيضا الجص والجير بنوعيه.

2- ومواد أخرى تتمثل في الخشب الزجاج والمعادن، هذه المواد استعملت في كل من القصور الحمادية في القلعة وبجاية.

[1] رشيد (بورويبة)، المرجع نفسه، ص ص 301-306.

ثالثا : القصور الحمادية في القلعة وبجاية:

1- أوجه الشبه : يمكن دراسة النقاط المشتركة بين القصور الحمادية بالقلعة وبجاية من خلال ما يلي:

1-معظمها بني في فترات الهدوء والاستقرار السياسي والاجتماعي على أيدي ملوك وأمراء أقوياء كالناصر بن علناس وابنه المنصور.

2-التعدد الوظيفي لهذه القصور فهي بالإضافة إلى اتخاذها محلا للإقامة، فقد عرفت بوظائفها العسكرية كأماكن للحراسة وإرسال الإشارات للجيوش مثل قصر المنار بالقلعة وقصور بجاية.

3-استعمالها لنفس مواد البناء تقريبا كالحجارة والرخام والخشب والزجاج وغيرها

4- تتمتع بنفس القوة والمتانة تقريبا نظرا لتشابه البيئة الجغرافية الجبلية الصعبة والظروف السياسية المحيطة بالقلعة وبجاية.

5-تشابه كبير من حيث العناصر المعمارية مع الاختلافات في العدد والتوزيع لأنها بنيت من طرف نفس الحضارة ونظرا للتقارب الزمني والجغرافي بينها.

6-كانت القصور الحمادية بالقلعة تشابه القصور الحمادية ببجاية وذلك من خلال نوافذها المطلة على البحر والمزينة بمشكاوات معدنية، وبأبوابها المخرمة والمزوقة وقاعاتها ذات المقاطع

والأطراف المكسية بالمرمر الأبيض المنقوش والمطلي بالذهب واللازورد، وبنقائشها ورسومها الزيتية الحائطية. [1]

7-التشابه في المساحة والموقع : من ناحية هندسة التخطيط أثبتت الدراسات الأخيرة أن مساحة مدينة قلعة بني حماد تبلغ حوالي 150 هكتار، وكانت مساحة بجاية على العهد الحمادي تقدر بـ 150 هكتار أيضا، وتجزأ إلى 21 حيا مشتملة على 73 مسجدا وعدد سكانها حوالي 100 ألف نسمة، ومن الشروط التي كان البربر يوفرونها في الموقع ضرورة توفر المياه وإشراف المدينة على منطقة واسعة لاكتشاف العدو.[2]

ب-أوجه الاختلاف بعد قيامنا بذكر العناصر المتشابهة في القصور الحمادية بالقلعة وبجاية على كثرتها، سنتطرق إلى عناصر الاختلاف بينها على قلتها أملتها الظروف المناخية والجغرافية والوظيفية والتي من بينها ما يلي:

1- الهندسة المعمارية: اختلف التخطيط الهندسي للقصور الحمادية بالقلعة وبجاية، ومن أوجه هذا الاختلاف أنه يوجد اختلاف من حيث المساحة والشكل وعدد المباني وطريقة التصميم، فتميزت قصور القلعة بتخطيط معماري أبدع ، والدليل على ذلك الحوض أو البحيرة وسط قصر البحر الذي أخذ اسمه منها ، بالإضافة إلى أحواض أخرى في القسم الغربي من قصـر المنار،

[1] الهادي روجي (إدريس)، المرجع السابق، ج2، ص 109.

[2] عبد الحليم (عويس) ، المرجع السابق، ص 275

ويوجد حوض في قصر السلام ، وذلك لاهتمام المعماري الحمادي ونظرته للصيف الحار بالقلعة، وبُعد العيون والمنابع المائية عن المدينة، وبالتالي كان لزاما بناء هذه الأحواض والخزانات للاحتفاظ بالمياه، لكن هذا لا نجده في القصور الحمادية ببجاية فلم يذكر ذلك.

وما يميز أيضا القصور الحمادية بالقلعة هو وجود مطامير كتلك الموجودة بقصر السلام، أما قصور بجاية فلا يوجد فيها.

مباني قصور القلعة بنيت متلاصقة فيما بينها، والقاعات تحيط بها رواقات من كل الجهات، وتجد أيضا صومعة لا تزال آثارها إلى حد الآن، وعند هندسة القصور الحمادية فكر المعماري الحمادي أين تذهب الأمطار بعد سقوطها فوضع جبب داخل القصور (قصر السلام وقصر المنار).[1]

تصميم القصور بالقلعة عبارة عن أشكال هندسية ، فقصر السلام كان على شكل مثلث، المعنى من هذا أن التصميم والهندسة المعمارية للقصور الحمادية بالقلعة كانت أحسن من قصور بجاية، وذلك لاهتمامهم بالجانب الفني أكثر من التخطيط الهندسي فلم يذكر الكثير عن هندسة القصور الحمادية ببجاية.

1- **النوافذ** : النوافذ بالقلعة تعتبر قليلة وضيقة نسبيا مقارنة مع نوافذ قصور بجاية، وربما هذا أملته ظروف وظيفية، بحيث نجد القلعة في منطقة مرتفعة حارة صيفا وباردة شتاء، كما أنها

[1] عبد الحليم (عويس)، المرجع السابق، ص 258

تستفيد بقدر كبير من الإضاءة الشمسية، كما أنها مدينة عسكرية ومعظم نوافذها جاءت على شكل مزاغل متسعة من الداخل وضيقة من الخارج، وذلك لغرض دفاعي.

2-القباب : لا يمكننا أخذ صورة حقيقية وكاملة عن القباب، لأنه لم يبق منها شيء ربما سوى قبة قصر المنار التي يبدو أنها كانت نصف دائرية وصغيرة نسبيا، وكذلك قبة قصر الؤلؤة وهذا راجع للطابع العسكري لمدينة القلعة.

3- **الزخرفة الفنية** : بالرغم من انتقال عاصمة الدولة الحمادية من القلعة إلى بجاية، إلا أنها اختلفت في فن زخرفة قصورها، وعن الفن الحمادي يقول عبد الحليم عويس: «لا نستطيع أن نجد في بجاية فنا متجانسا مثلما هو في القلعة، لأن الخزف الذي وجد في القلعة للأمراء الصنهاجيين كان متجانسا بطريقة جلية، والسبب في ذلك أن مدينة القلعة قد نشأت ونمت وفقدت كل أهميتها السياسية، فنموها كان أقل من قرن ، أما بجاية فكانت موجودة من قبل أن يستوطنها الحماديون ، بحيث حكمها حكام أجانب عدة وكانت متصلة بعالم البحر الأبيض فمن الممكن أن يكون الفن الذي في بجاية ينتمي إلى أصول أخرى»[1]، الفكرة من هذا أن فن بجاية وفن القلعة مختلف وذلك بحكم أن بجاية حكمها حكام آخرون قبل الحماديين، لكن القلعة أول من حكمها هم الحماديين، فربما الفن الزخرفي لبجاية يعود إلى أصول أخرى وما وجد بها لا ينتمي إلى الحماديين، أما القلعة فزخرفة بناياتها وقصورها تعود إلى الحماديين، ويمكن أن ندرس أوجه الاختلاف من حيث الزخرفة

[1] عبد الحليم (عويس)، المرجع السابق، ص 273

الفنية من خلال الزخرفة النباتية والزخرفة الهندسية والزخرفة الحيوانية التي استعملت في القصور الحمادية بالقلعة وبجاية.

1.3- الزخرفة النباتية: زينت القصور الحمادية ببجاية بنبات اسمه "الرجق"، حيث أنه عندما يدق مع حجر الرنج المزين بتصاوير مرسومة يزين كل جدران القصر، واستعمل هذا بالتحديد في قصر الكوكب، فيصبح لامع مثل أشعة الشمس، أما قصور القلعة لم يذكر أنها استعملت مثل هذه الزخرفة النباتية.

2.3 - **الزخرفة الهندسية** : اختلفت الأشكال الهندسية في كل من القصور الحمادية بالقلعة وبجاية، حيث أن القلعة استعملوا الأشكال النصف دائرية ومسطحة القعر، بالإضافة إلى الأقواس، في حين بجاية لم تستعمل هذه الأشكال، فقصور القلعة في حد ذاتها عبارة عن أشكال هندسية تميزت عن غيرها، فنجد قصر البحر على شكل مثلث هندسي، ، أما الحوض الموجود فيه عبارة عن شكل مستطيل هندسي ، فهذه الأشكال الموجودة بالقلعة تحيط بها الرواق المفرشة بالرخام.

3.3 - **الزخرفة الحيوانية** : إلى جانب صورة الأسد التي اشتركت فيها كل من قصور القلعة وبجاية نجد حيوانات أخرى مختلفة صورت ببجاية لم توجد في القلعة ومثال ذلك الزرافة وبعض الطيور والحيتان والحيات.

4.3- **الزخرفة الكتابية** : تتمثل الزخرفة الكتابية في استعمال الخطوط النسخية أو الكوفية بطرق فنية جميلة وإبداعية، حيث استعمل الحماديون نمطا من الخط قريبا من الخط الكوفي، وثمة

خطوط أخرى اكتشفت في حفريات القلعة وبجاية، سواء على حجارات القبور أو على أقواس الأبواب، وكلها خطوط كوفية، ومن خلال المقارنة بينها يتبين لنا التطور الهائل بين كتبات القلعة ذات المظهر البسيط، وكتابات بجاية، مما يبين التطور الحضاري ببجاية لا سيما في عهد الناصر بن علناس[1] ، ونلاحظ هنا أن قصور بجاية كانت أكثر تطور من الناحية الفنية الجمالية من قصور القلعة، وقصور القلعة تفوقت على قصور بجاية من ناحية التخطيط والهندسة المعمارية.

المبحث الثاني :المخلفات الأثرية

أولا : أهمية المخلفات الأثرية

تعتبر المخلفات الأثرية على اختلاف أنواعها وأشكالها، مبعث فخر الأمة واعتزازها، وذلك لما تحمله هاته المخلفات الأثرية من قيم ومعان تدل على العراقة والأصالة، ولأنها كذلك تعبر عن الهوية الوطنية، حيث تتصل بشخصية وهوية الأمة، وتعطيها الطابع الذي يميزها عن غيرها من الأمم الأخرى، ويحدد مستواها في الذوق والحس الإبداعي ودرجة تقدمها في العلوم والفنون[2]

ومن خلال هذه الآراء يمكن القول أن الاضطرابات السياسية بين الطرفين (الحمادي والزيري)، وظهور القبائل الهلالية في المغرب، عرقلت مكافحة هذا العدو، ومنه فإن تأسيس مدينة بجاية مقيدة بالسياسة العامة للمغرب الأوسط والمغرب الشرقي في القرن الحادي عشر ميلادي.

[1] عبد الحليم (عويس) ، المرجع السابق، ص 274.

[2] بورويبة رشيد الدولة الحمادية، ص203. (27) سيد أشرف صالح محمد المرجع السابق، ص 03. (28) حجاج ريم محمد يونس، المرجع السابق، ص374.

وبهذا تكون بجاية ثاني عاصمة لدولة الحمادية بعد القلعة، وأول عاصمة على الشريط الساحلي، وصاحبة القرارات السياسية في المغرب الاوسط، حيث إستطاعت أن تفرض نفسها في حوض المتوسط، نظرا لموقعها الإستراتيجي المطل على البحر والمحمية طبيعيا بالجبال

ثانيا : مواد بناء القصور الحمادية.

استعمل المعماري الحمادي مواد مختلفة في بناء منشآته المعمارية، وتنقسم حسب طبيعتها إلى ثلاثة أنواع وهي: مواد البناء الأساسية، ومواد البناء الرابطة، ومواد مكملة للبناء.

أ- مواد البناء الأساسية:

بحيث تنقسم من أصل المادة إلى نوعين وهما المواد الطينية بنوعيها المحروقة وغير المحروقة، والمواد الطبيعية كالحجر والرخام.

1-**المواد الطينية:** عبارة عن معادن تكونت بواسطة التجوية المناخية لأنواع مختلفة من الصخور، وتتكون هذه المعادن من:

- أوكسيد السيليكون ويسمى أيضا سيليكا SIO2
- أوكسيد الألمنيوم ويسمى أيضا ألومينا03 AL2

– وبلورات معادن الطفلة صغيرة جدا أقل من 2 ميكرون وتأخذ شكل قريب من وكل بلورة تتكون من عدة مئات من الرقاق السداسية، وتتكون الرقيقة الواحدة من معظم الطينات، ويمكن تقسيم الطينة من حيث المصدر إلى نوعين طينية أولية وطينية ثانوية. [1]ومن أنواع المواد الطينية نجد:

– المواد الطينية غير المحروقة يصنع الطوب من قوالب مربعة وعند البناء بقوالب الطوب قد يتم ربطها مع بعضها بمواد أخرى ومن بين هذه المواد نذكر : الخشب، الطوب، الحجر.

– المواد الطينية المحروقة ومن بينها التي استعملها المعماري الحمادي نجد: الآجر والقرميد.

2–**مواد البناء الطبيعية** : بالرغم من استعمال المعماري الحمادي للمواد الطينية بأنواعها، إلا أنه لم يستغن على مواد البناء الطبيعية وأهمها الحجارة، بحيث كانت تستخرج من محاجر في سفوح الجبال أو على الأراضي السخرية المسطحة، ضف إلى الحجارة استعمل أيضا الرخام، ولندرة هذه المادة اقتصر على المنجزات التزيينة فقط.

3– **مواد البناء الرابطة** : من بين المواد البناء الرابطة التي استعملها المعماري الحمادي نذكر:

1.3– الملاط : ملط الحائط طلاه بالملاط والملاط بكسر الميم ما يطلى به الجدار من طين، أما في المصطلح الأثري فيأتي لفظ المونة للدلالة على مزيج من الجير والرمل ومسحوق الطوب[2]، فهو من بين أهم المواد المستعملة للربط بين أجزاء البناء أو لكساء الجدران والأرضيات

[1] جورجيو (توراكا)، تكنولوجيا المواد وصيانة المباني الأثرية، ترجمة، أحمد إبراهيم عطية، دار الفجر، د.ت ، ص ،ص 197–198

[2] نذير (قوادرية)، الآثار الريفية العقارية والمنقولة وإشكالية حمايتها واستغلال سياحيا – منطقة الحضنة نموذجا، معهد الآثار ، جامعة الجزائر –2 ، 2017–2018، ص 168

غير المنظمة في البناء، فهو يتحمل قوة ضغط كبيرة ناتجة عن قوة الثقل[1]، ومن المواد المكملة للملاط نجد الجير، وتجلب هذه المادة من محاجر خاصة على شكل حجارة كلسية تختلف نقاوتها من منطقة إلى أخرى ، ونجد أيضا الجص فهو عبارة عن مسحوق رسوبي أبيض نتحصل عليه من صخر رسوبي يدعى الجبس بإضافة الماء إليه نتحصل على عجينة صلبة.[2]

4-**مواد البناء المكملة :** ضف إلى مواد البناء السابقة استعمل المعماري الحمادي أيضا مواد أخرى تسمى بالمواد المكملة للبناء المتمثلة في الخشب والزجاج والمعادن.

1.4-**الخشب :** استعمل الخشب بأنواعه منذ العصور الغابرة لأنواع متعددة، إلا أن المعماري الحمادي استعمله كمادة مكملة للبناء كالتسقيف لونه عازل جيد للحرارة واستعمله كذلك في صناعة النوافذ والأبواب، فمن أنواع الخشب نجد الصنوبر والعرعار ، وقد استعمل المعماري الحمادي الخشب في العديد من الأماكن حيث نجد آثاره في الجدران في الأسوار بين الحجارة وكذلك نجده في صناعة البوابات ونجد أيضا في صناعة مختلف العناصر المعمارية التي يعمل على تدعميها وتقويمها.[3]

2.4-**الزجاج:** استعمله المعماري الحمادي والدليل على ذلك وجود قطع من الزجاج عثرها

[1] نبيل (بوعويرة)، المرجع السابق، ص 52.

2 عبد الرحيم (غالب)، موسوعة العمارة الإسلامية، ط1، بيروت، لبنان، 1988، ص 120

[3] نبيل (بوعويرة)، المرجع نفسه، ص57

عليها الأثريون في القلعة، منها قطع كانت مرسخة على الحصى وقطع أواني مختلفة.[1] 3.4- **المعادن:** عرفت منذ آلاف السنين، فاستخدمها المعماري الحمادي في عمارة القصور كمادة مكملة للبناء، حيث استعملها كقنوات مياه مثل الرصاص حيث استعمل على شكل

أنابيب تهيئة في فوهات العيون

ثالثا: تكوين الوحدات المعمارية

إذا كان الحديث فيما سبق عن توزيع الوحدات المعمارية، فسيكون حديثنا الآن عن تكوين الوحدات المعمارية، أين يتجلى بكل وضوح الابتكار والإبداع الحمادي الذي يعبر عن واقعهم بكل مقوماته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية أي بكل المقومات الحضارية التي تعتبر مرآة حقيقية للذات الحمادية، ومن الأمثلة التي نذكر في هذا الشأن، العمارة الدينية: إذا كانت المساجد الحمادية التي وصلتنا لا تدل على شيء جديد، إلا أنه توجد عناصر خاصة فيهما تعتبر مستجدات في العمارة الإسلامية، أهمها المئذنة التي تعد بحق إحدى روائع الفن المعماري بالمغرب الإسلامي، فهي أقدم مئذنة على التراب الجزائري.

وتمتاز بمميزات جعلتها فريدة من نوعها في العالم الإسلامي عامة، والمغرب الإسلامي خاصة، وذلك بعمارتها الخاصة والتناسب الهندسي الواضح[2]، كما أيضا تغطية المئذنة بالقبوات المتنوعة

[1] رشيد (بوروبية) ، المرجع السابق ، ص309

[2] عزوق عبد الكريم، تأثير" مئذنة قلعة بني حماد على بعض المآذن في المغرب والأندلس"، مجلة الدراسات الأثرية، العدد3، 1995، ص ص 45-46.

من الداخل عن قدرة البناء في الحركية المعمارية، كما تتجلى أيضا واجهة المئذنة المزخرفة، والتقسيم الهندسي الذي روعي فيها باستثناء الواجهات الثلاث الأخرى العاطلة عن الزخارف، عن خاصية أخرى أثرت بنوعية زخرفتها ومكانها في الواجهة الجنوبية على مئذنة جامع الموحدين باشبيلية (الاجيرالدا) التي بنيت في 6القرن هـ/12م.[1]

بالإضافة إلى هذه الخاصيات الجديدة ،أيضا يمكننا أنة نسجل وجود مسجد صغير داخل المسجد الجامع الأصلي، وهذا بعد تخريب القلعة وهجرة معظم سكانها، وهذا لا نلمسه إلا في تكوينات العمارة الحمادية بالقلعة.

هذا كله بالإضافة إلى مسجد قصر المنار الذي يعتبر تحفة معمارية نادرة مقاساته تبلغ 1.80م × 1.70م وعرض بابه 0.74م، وبذلك أصغر مسجد أثري في العالم الإسلامي قاطبة[2]"، ومن أهم مميزاته أنه موجود بقصر ، بالإضافة إلى صغر حجمه، ثم الزخرفة الكتابية البديعة التي تزين المحراب والفريدة من نوعها في العالم الإسلامي، والذي لا يشابهه المحراب قبة الصخرة بالقدس والمشيدة سنة 72هـ/696م". [3]

والجدير بالملاحظة أن الحماديين بنوا مساجد أخرى في كل من بجاية وقسنطينة وملالة، ولكنها تهدمت ولم يبق منها شيء ماعدا محراب جامع قسنطينة.

---

[1] المرجع السابق، ص. 38

[2] بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ص. 216

[3] نفسه، ص216

وحسب المصادر التاريخية، فإن مساجد بجاية أيضا في هذا العهد كانت على غاية من الروعة والإتقان على غرار مساجد القيروان وصفاقس وتونس والمهدية والقلعة.

أما في مجال العمارة المدنية والعسكرية نظرا لتداخلهما وتشابههما في بعض الوظائف كون القلعة مدينة عسكرية بالدرجة الأولى فوجود الحوض الكبير بدار البحر ومقاساته 47 × 67[1]، شيء ملفت للانتباه لمعرفة مغزى هذا الحوض، فالقلعة منطقة جافة صيفا، وربما هذا ما جعل الحكام الحماديين يعمدون إلى تشيد حوض بهذه الضخامة، كما يبين من جهة أخرى أن المعمار الحمادي كان متمكنا من الإبداع ويمقت التكرار والتقليد، وهذا اعتمادا على مجموعة من القصور السابقة للعهد الحمادي في البناء، كما في قصر الحير ببادية الشام، وقصر المشتى والطوبة فهي خالية من الأحواض المائية، أما قصر الحمراء بغرناطة فالحوض المائي فيه أصغر من حوض قصر البحر، كما أن التكوين المعماري لهذه القصور داخليا وخارجيا يختلف اختلافا كليا عن سابقاتها ولاحقاتها ، والنموذج الوحيد الذي يكون ربما قد أثر في قصور القلعة هو القصر الزيري بأشير الذي تأثر بدوره بالقصور الفاطمية

[1] GOLVIN (L), Op. Cit., ...année, Le maghreb central à l'époque des Zirides. p. 188

أما برج المنار الذي تداخل مع قصر المنار، فتكوينه المعماري من طابقين تحت أرضي وأرضي هو تأثير على ما يبدو من برج خلف بالمهدية الذي يكون بدوره قد أثر تأثيرا مباشرا على أبراج النورمان في باليرم[1]

وباعتبار الموحدين هم ورثة الحماديين، فالمرجح أنهم نقلوه إلى عمارتهم خاصة في المآذن الموحدية وتركيبها لأول مرة في تاريخ العالم الإسلامي تحولت نواتها المركزية من مجرد نواة صماء إلى نواة مفرغة بها غرف مركبة متتالية تستغل لأغراض أخرى.

2-الأخاديد البارزة والغائرة

كان المعمار الحمادي يراعي في استخدامه الأخاديد بفرعيها خاصة في العمارة المدنية، وأحيانا تأخذ مكان الدعامات الخارجية، وذلك لتحقيق مبدأ المتانة والجمال والمنفعة، والأخاديد قديمة جدا في العمارة حيث ظهرت في خورس أباد بآسيا[2]، ولم تتكرر ذلك التاريخ في العمارة، إلا في العهد الحمادي، وإن كانت الأخاديد في خورس أباد، السور نفسه الذي يتعرج، فإن الأخاديد الحمادية هي زيادات جدارية، أو فراغات غائرة في السور نفسه، فالأخدود البارز يتكرر في أشكال متماثلة على الجهات الخارجية للجدران في الأبنية الحمادية بصورة تعطي إيقاعا منتظما ، يعتبر عنصر متانة هام وذلك راجع لانحدار موقع القلعة، أما الوظيفة المعمارية للأخدود البارز، فهي امتصاص نسبة معتبرة من ثقل السقف أو الطوابق العلوية، لأن الثقل يتوزع على الأخدود في

[1] عزيز أحمد، تاريخ صقلية الإسلامية، ترجمة وتقديم أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس وليبيا، ص113.

[2] رئيف مهنا، نظريات العمارة، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، ص41

أربعة نقاط متناظرة، هذا بالإضافة إلى الطابع الجمالي الذي تضيفه على المبنى من إيقاع وانسجام معماري يتجلى في انتظام الأشكال.

أما الأخاديد الغائرة فهي تلك الفراغات المشكلة في الجدار سواء من الداخل أو الخارج فهي ذات وظيفة معمارية تتمثل في توزيع الثقل، فيمكن أن نلاحظها في جدران القصور الحمادية التي تضفي عليها جانب من المتانة والصلابة.

إن مثل هذه الأشكال تعتبر عن قدرة في مجال العمارة، ليس فقط لتوزيع الثقل، وإنما للاستغلال كالحاجة إلى أماكن خاصة توظف في وضع الأدوات اليومية.

3-التجويفات الجدارية:

من المميزات الغالبة على العمارة الحمادية، ونجدها في قصر المنار ومن الخارج كما في برج المنار، ودار البحر، وهي عبارة عن نصف أسطوانية غائرة في الجدار ، أو نصف برميل عمودي معه.

رأى جولفان[1] بأن استعمالها من أجل تخفيف الثقل الكلي للمبنى، كما تعبر أيضا عن التفكير الجيد للمعمار الحمادي في كيفية تكييف مواد البناء الأولية مع واقعه الجبلي، حيث لجأ إلى استعمال تجاويف بعرض 1م تقريبا، وهذه التقنية المبتكرة تترجم بعمق فكرة الوظيفية، فالبيئة لها تأثير كبير على الإنشاء المعماري، وهذا ما نفسره بذلك الانحدار الأرضي، وتلك المواد المتوفرة

[1] GOLVIN (L), Recherches Archéologiques à La Kalaa des Beni- Hammad, Paris, 1954, P. 42.

(الدبش)، ولذلك لابد من عنصر المتانة، فالتجويفة زيادة على دورها الرائد في حفظ توازن البناء، فهي أيضا تكتسي دورا من الناحية الفنية كإعطاء المبنى قيمة فنية، كما تسمح التجاويف بالتقليل من مواد البناء خاصة إذا كان سمك السور يتعدى 2م، كما اعتمد الفنان والمعمار إلى نظرية التماثل والتناظر في التجاويف.

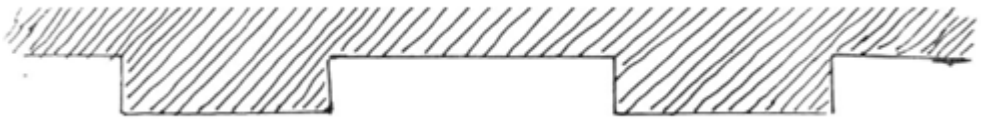

الشكل رقم 04: أخدود بارز بحجم السور (القلعة)

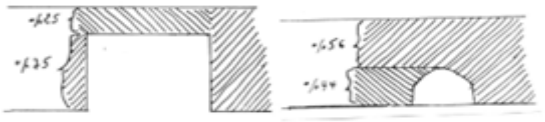

الشكل رقم 05: أخدود غائر (تجويفة)

رابعا:التدرج في البناء (الجدران)

زيادة عن الأخاديد والتجاويف، فإن الجدار الحمادي يتميز بالتدرج البنائي الذي ينقسم إلى نوعين:

– التدرج البنائي الذي نلاحظه على المسطح العلوي للجدار ، أي تدرج الجهة العلوية أفقيا والذي حدده دبيلي"[1]، على حافة العلوية لصهريج الماء الموجود أمام قصر المنار ، وفائدة هذا التدرج تتجلى في الشكل التنازلي إلى الصهريج، لأن التدرج في شكل تنازل إلى الداخل أي إلى أرضية الصهريج للحاجة إلى النظافة التي تستلزم النزول، هذا بالإضافة إلى منفعة أخرى متمثلة في أن الانعطافات التي شكلت في الجهة الداخلية للجدار تسمح بتوفير كمية من الماء إضافية معتبرة دون التقليل من متانة السور وصلابته، وهذه الاحتياجات هي التي جعلت المعمار يستعمل هذا التدرج الأفقي في أعلى الجدار، وربما استعمله في الحمامات والأحواض.

–التدرج البنائي العمودي مع ارتفاع الجدار يمكن أن يلاحظ بالعين المجردة وبصورة واضحة في الجهة الشرقية، وهو لا يختص بمكان معين، بل ينتشر داخل البناءات وخارجها، وقد التزم فيها المعمار بالدقة المنتاهية في التدرج، مما يدل على أن المعمار يحب توازن أشكاله المعمارية، وبالتالي جعل المبنى في أكمل متانة ودقة متناهية، والفائدة من وراء هذا التدرج العمودي، هي معمارية تتمثل في زيادة تماسك السور بترك أخاديد على شكل زاوية قائمة تجعل القطع الحجرية

[1] BEYLIE (Gle de), Op. Cit., p. 36

تتداخل فيما بينها لتزيد من وثاقة السور، زيادة على الانكسارات القائمة العلوية التي يرتكز عليها السقف أو قاعدة الطابق العلوي التي تبعثر الثقل على نقاط انعطافها، فتقلل من ضغط السقف، وأما الفائدة الجمالية فتتمثل في تمتع الناظر بثلاثة أو أربعة أخاديد متعاقبة بشكل هرمي مما يجعل ذلك محببا خاصة إذا كانت الشمس على جهة فيزيد الظل التدرج رونقا وبهاء، وهو المعبر عنه بلغة الفن الهندسي بتزاوج الظل مع الشمس، وكان لهذه التقنية أثرها من القصور الحمادية على القصور الصقلية كقصر العزيزة بباليرم.

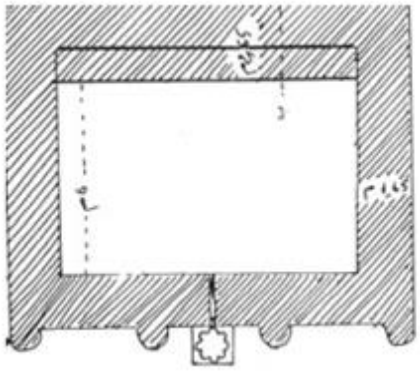

الشكل رقم 06 : تقنية التدرج الأفقي في البناء

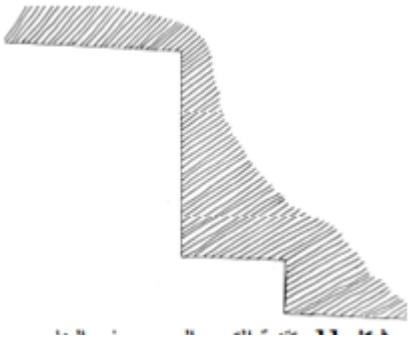

الشكل رقم 07 : تقنية التدرج العمودي في البناء

خلاصة الفصل الرابع :

من خلال دراستنا الفنية والجمالية للقلعة نجد القصور الحمادية بالقلعة تمتاز بالتخطيط على اختلاف القصور الحمادي ببجاية التي تميزت بالزخرفة هذا لا يعني غياب التخطيط الكلي لقصور بجاية أو غياب الزخرفة لقصور القلعة.

خاتمة

بعد دراستنا لفترة حكم الدولة الحمادية في القلعة من جانب الحضاري (العمران والفنون)، وإطلاعنا على ما تيسر لنا من المصادر والمراجع التي تناولت فترة الدولة الحمادية ، خاصة في فترة القلعة من الناحية الأثرية توصلنا من خلال الدراسة الى النتائج التاليـــــــــــــــــة:

– انفصال الدولة الحمادية عن الدولة الزيرية من طرف حماد بن بلكين الصنهاجي وتأسيسه للقلعة بني حماد واتخاذه عاصمة له ، والتي وضع أسسها سنة 398هـ/1007م. واستفراده بالحكم بها ، فأصبحت ثانية عاصمة في المغرب الأوسط .بعد حرب شرسة مع ابن عمه بـــــــــــاديس وابنـــــــــــه المعـــــــــــز ســـــــــــنة 408هـ/1018م

– امتيازت قلعة بني حماد بموقع استراتيجي وحصين مما ساعدها على البقاء شامخة متصدية لكل الهجمات المعادية لها خاصة الحمالات التي قادها المعز ضد حماد محاول إســـــــــــــــقاطها.

ـ عرفت قلعة بن حماد ازدهار كبير خاصة من الناحية الحضارية ، فقد اهتم بنو حماد بتشييد المباني ،والاهتمام بالفنون ، وأصبحت بذالك واجهه حضارية بالنسبة لدول المغرب آنذاك

وما نتوصل إليه خلال دراستنا للقصور الحمادية في القلعة أن لها مميزات وخصائص تختلف من قصر لآخر من الناحية الهندسية المعمارية أو الزخرفة الفنية الجمالية، إلا أن الملاحظ حول القصور الحمادية بالقلعة أنها كانت أكثر إبداع من حيث التخطيط الهندسي

و رغم كل هذا فإنه كان بالإمكان استجلاء هذه المظاهر الفنية والمعمارية بصورة أدق وأوضح لو أن هذه المعالم التاريخية والأثرية بقيت محافظة على مظاهرها المعمارية لما تعرضت له من خراب في القلعة ومن زوال لآثارها إلا ما تناولته المصادر حولها.

يتضح مما سبق، بأن التقنيات المستعملة في البناء بقلعة بني حماد يغلب عليها طابع التجديد في المظاهر حيث فضل المعمار الحمادي التنوع والابتكار على الجمود والتقليد في تقنياته البنائية، كما يتجلى بأكثر وضوح استغلاله لإمكانات المنطقة وتكييفها مع واقعه الحضاري المعماري، حيث تبدو المباني من نفس المادة الموجودة في الطبيعة وبذلك استطاع أن يحقق نوعا من التناسق والانسجام بينهما. كما أيضا الدارس للعمارة والفن الحمادي، أنه يمتاز بخصائص تعد من مظاهر الإبداع في مجال العمارة والعمران، منها عامل الطبيعة وموقع المدينة بالإضافة إلى الإنسان الذي استطاع أن يجد أحسن السبل في التكيف والتأقلم مع المنطقة مما ساعده على إنشاء مبان تتسم بالضخامة والمتانة لتلبي دور القلعة الدفاعي وتصنيفها ضمن المدن العسكرية، أو ما يسمى المدينة الحصن بالمغرب الأوسط. وبهذا يمكننا أن نعتبر قلعة بني حماد إحدى الحلقات الزاهرة في تاريخ المغرب الإسلامي ككل، والمغرب الأوسط (الجزائر) على وجه الخصوص.

وما زال مجال البحث في هذا الموضوع واسعا، لأن مظاهر التجديد والابتكار الحمادي لا تحصى ولا تعد وساهمت بها القلعة في الحضارة الإسلامية مساهمة كبيرة.

الملحق رقم 01[1]

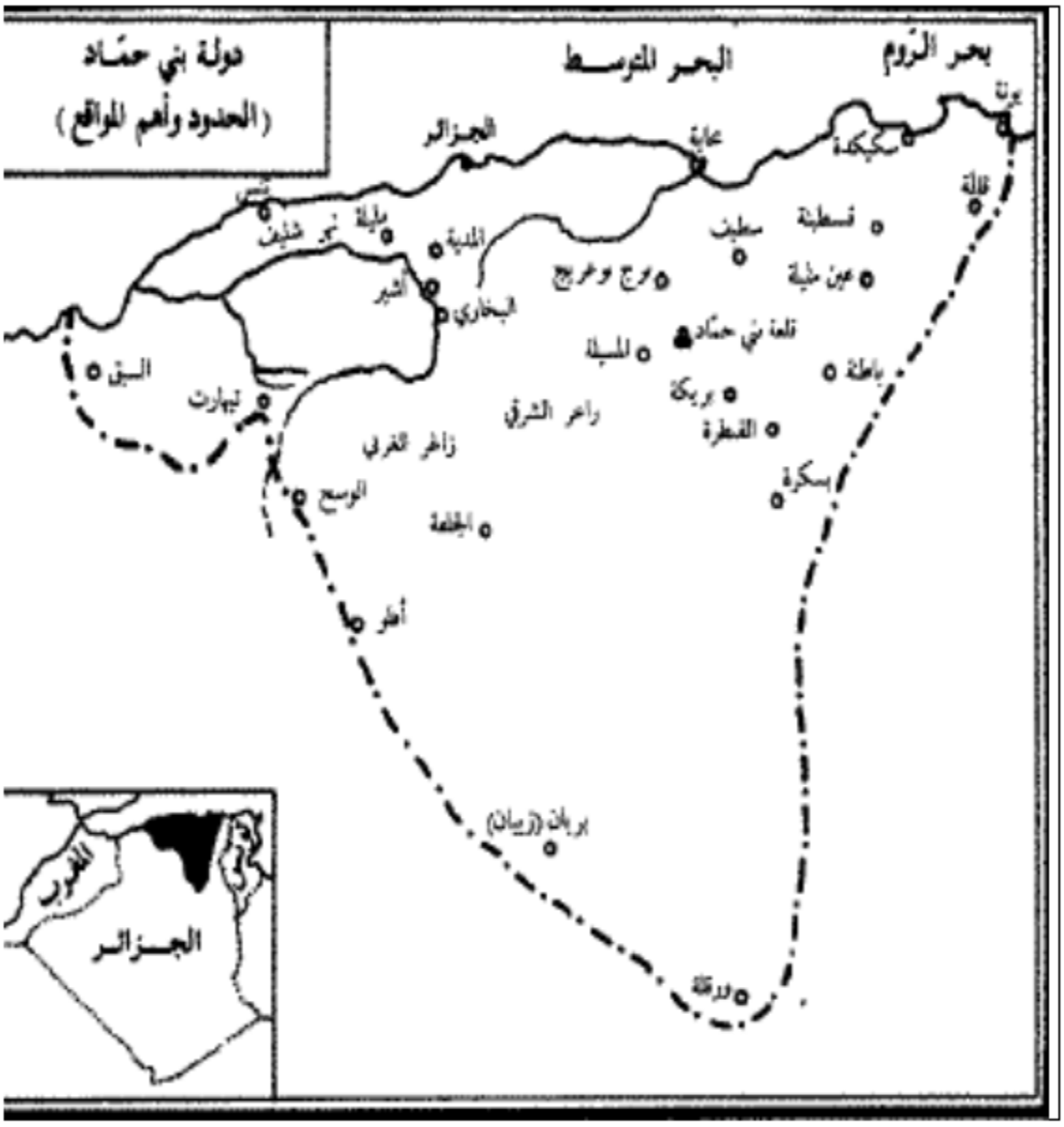

دولة بني حماد (الحدود وأهم المواقع)

[1] عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص97

الملحق رقم 2:02

أواني وأدوات منزلية حمادية

شكل 79 ــ أواني وأدوات منزلية حمادية

[2] بورويبة رشيد ، مرجع سابق ، ص282

الملحق رقم 03[3]:

قطع من الحلي الحمادي

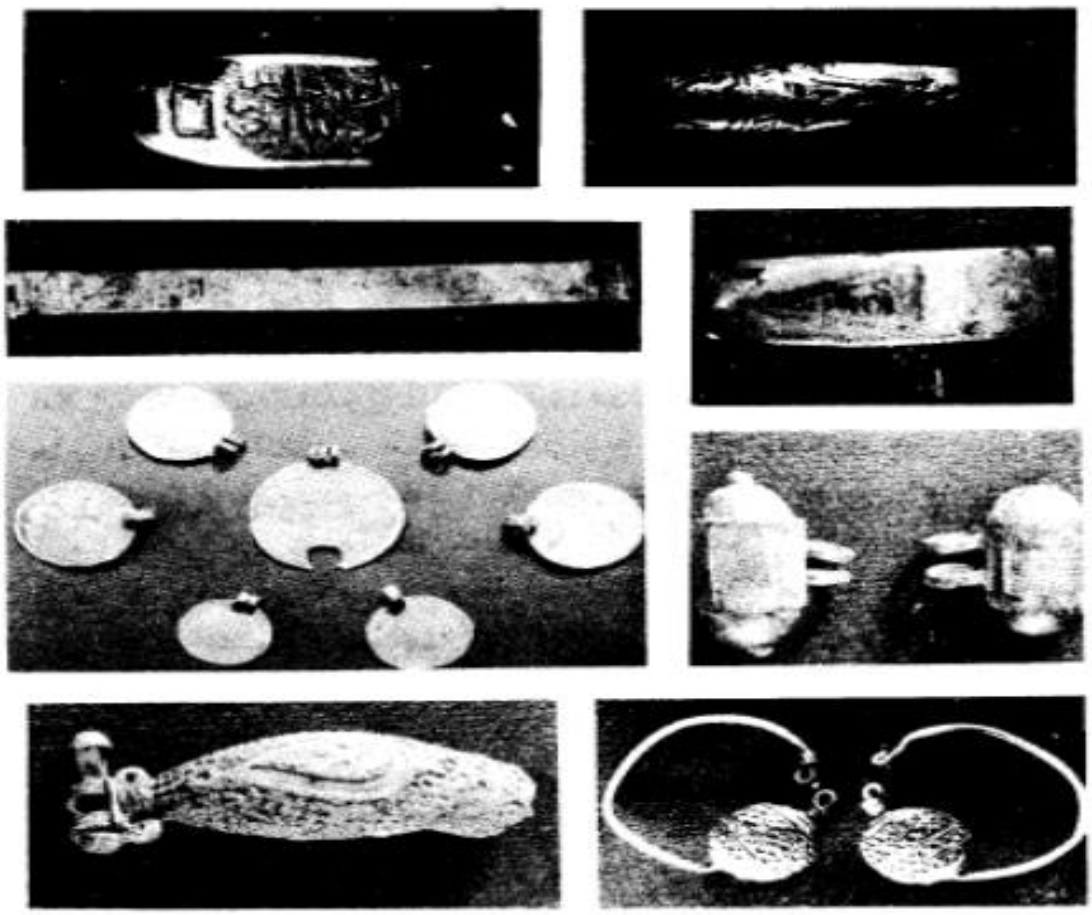

شكل 103 – حلي متحف سطيف

[3] بورويبة رشيد ، مرجع سابق ، ص311

الملحق رقم 04[4]:

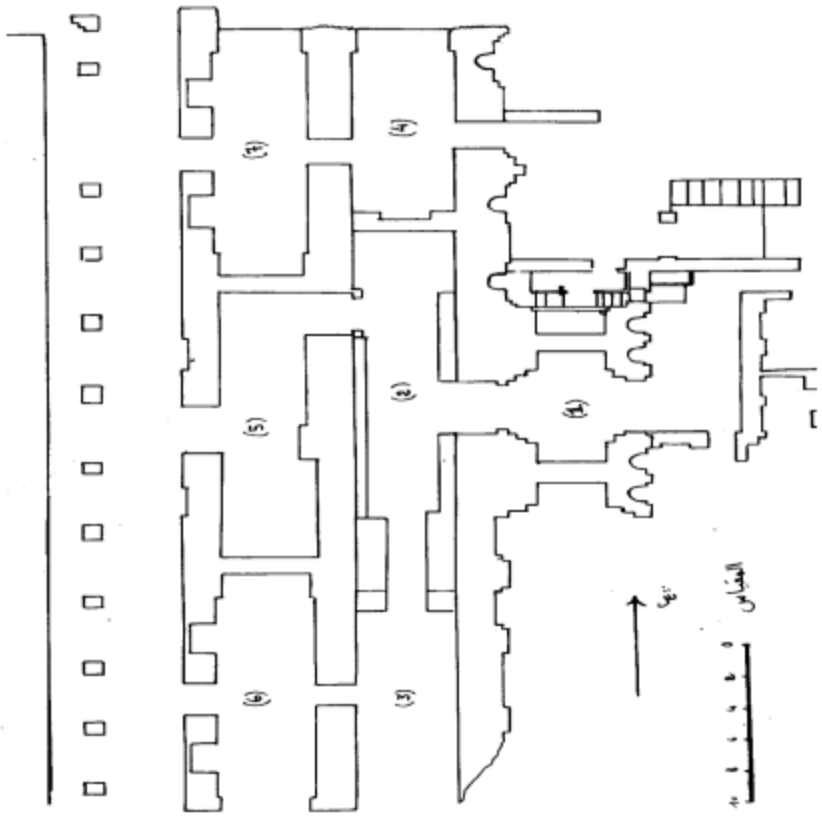

المباني الجنوبية والشرقية لقصر البحر

[4] عن رشيد بورويبة ، ص 267

الملحق رقم 05 :[5]

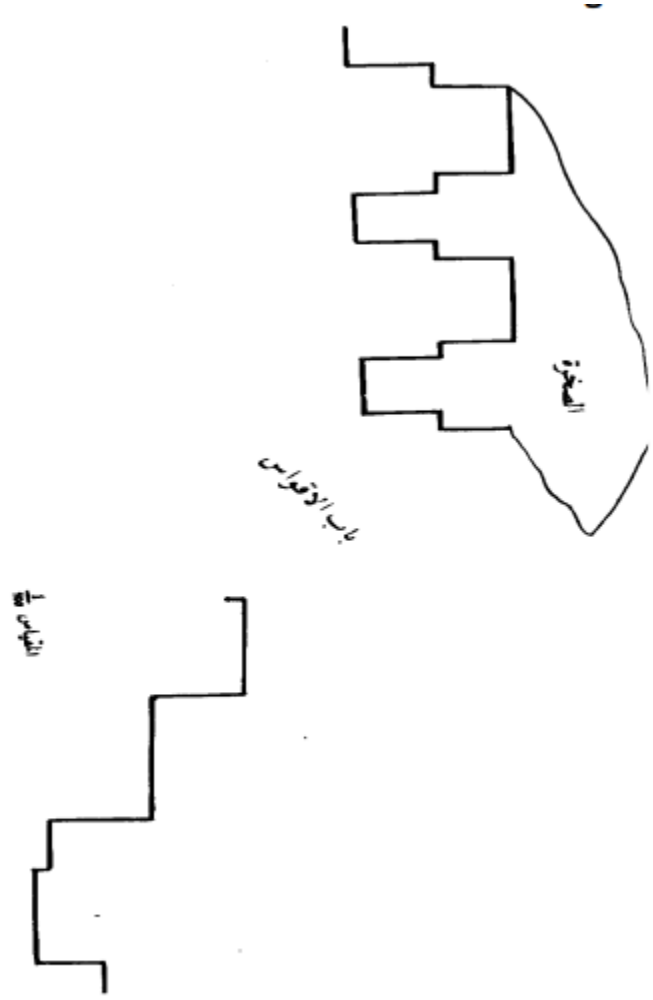

سور قلعة بني حماد من ناحية باب الأقواس

[5] عن رشيد بورويبة ، ص 205

الملحق رقم 06:أهم ابواب مدينة بجاية

01

02

BOUGIE. Porte Sarrazine (vue de la ville). © Discover Islamic Art (MWNF)

03

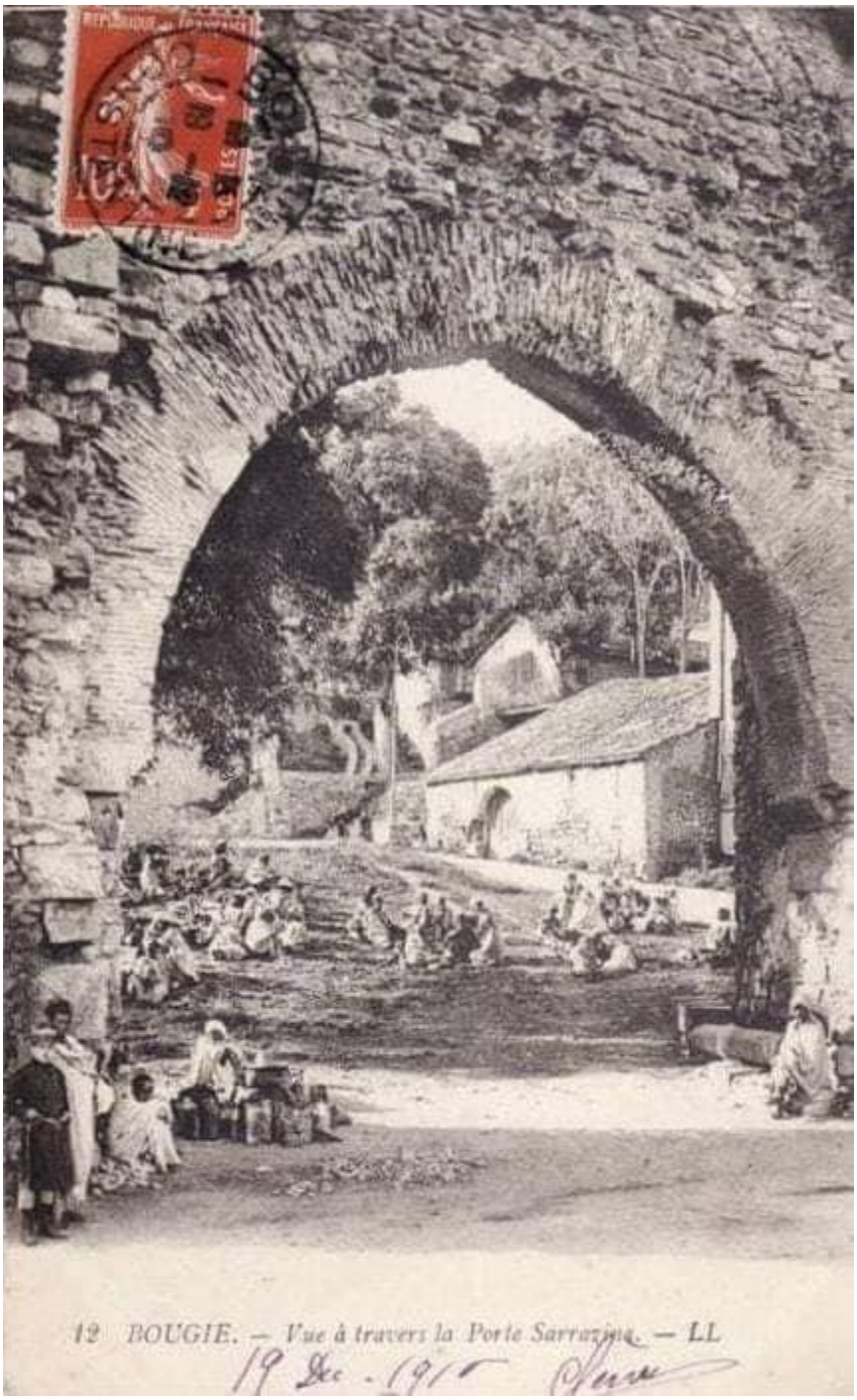

04

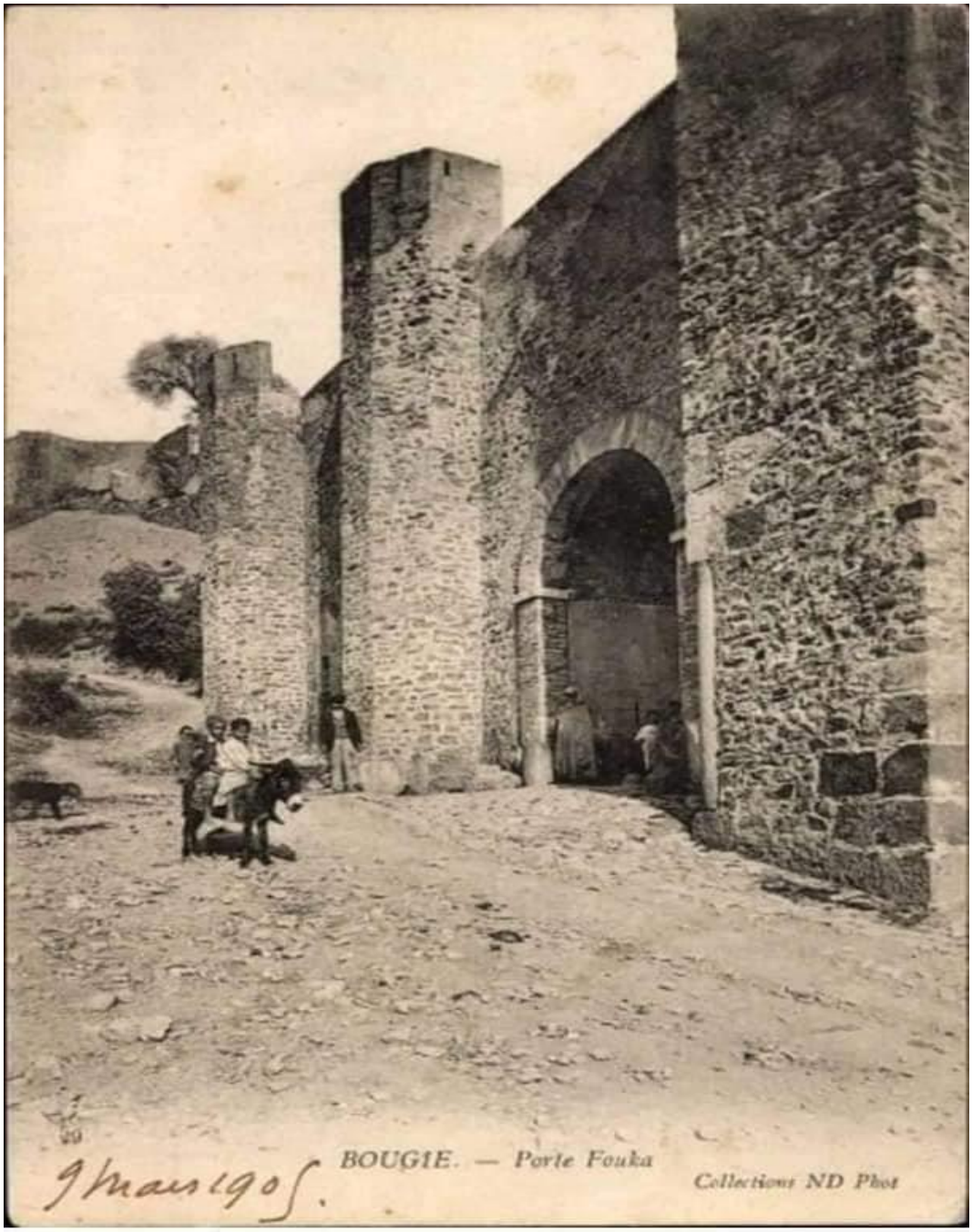

05

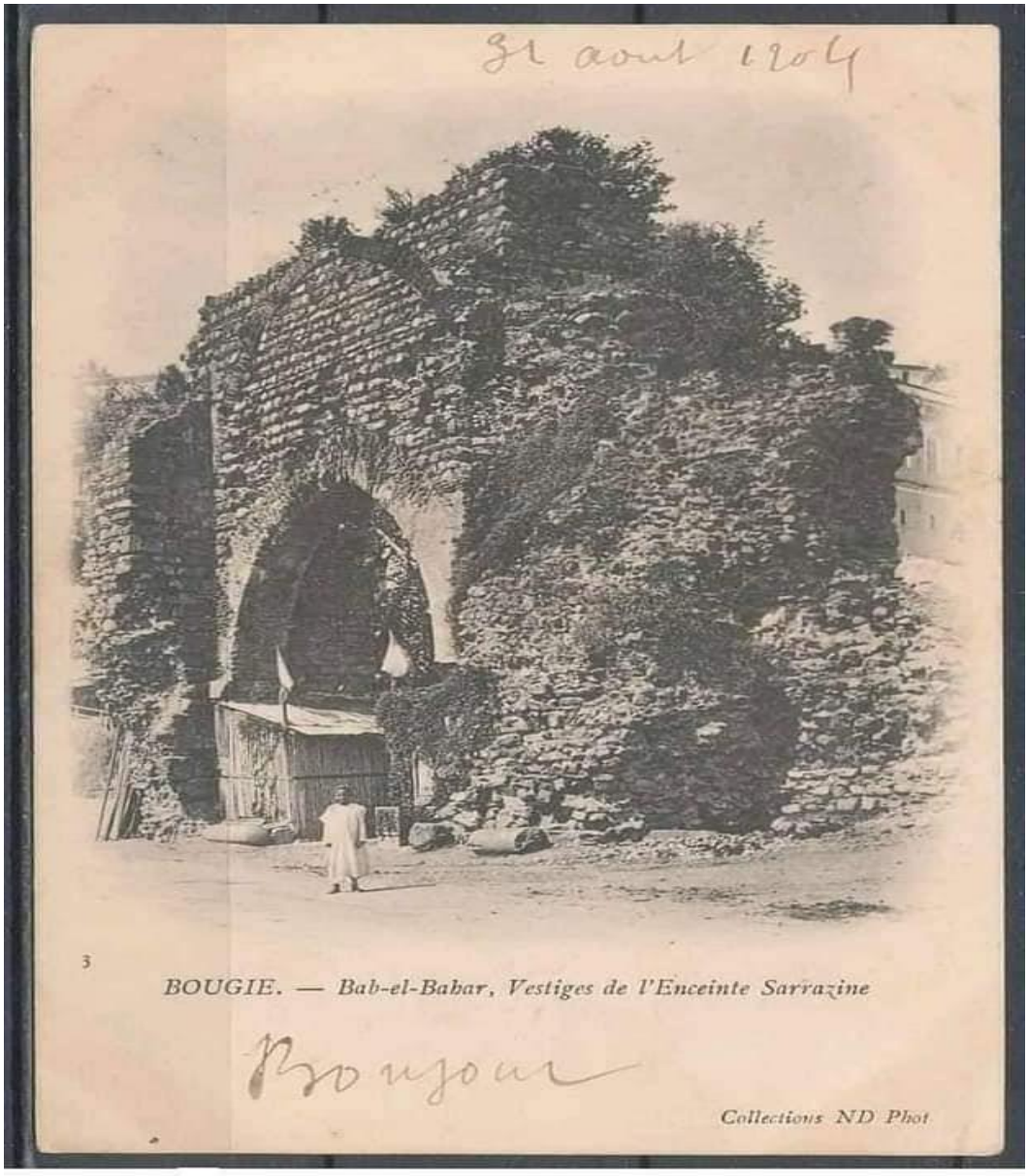
31 aout 1904
3
BOUGIE. — Bab-el-Babar, Vestiges de l'Enceinte Sarrazine
Bonjour
Collections ND Phot

06

فهرس المحتويات

البسملة

الإهداء

الشكر والتقدير

مقدمة.....أ-ر

الفصل الأول: تاريخ نشأة دولة بني حماد وبناء القلعة 9-30

المبحث الأول : نشأة الدولة الحمادية وظروف تأسيس القلعة.....9-14

أولا : موقع الدولة الحمادية.....14-20

ثانيا: التسمية و السكان.....16-20

المبحث الثاني : ظروف تأسيس القلعة الحمادية.....16-30

أولا: تأسيس القلعة.....20-26

ثانيا: انتقال الخلافة الى المعزابن باديس.....26-27

ثالثا: تجهيزات للحملة العسكرية.....27-29

خلاصة الفصل الاول.....30

الفصل الثاني : المخطط العام للقلعة وأهم المرافق.....32-50

المبحث الأول : لمحة تاريخيه للدولة الحمادية.....33-44

أولا : أهم حواضر الدولة.....33-37

ثانيا: القصور الحمادية بالقلعة.....38-40

ثالثا: عوامل الانتقال من القلعة إلى بجاية.....40-44

المبحث الثاني: ادوات وتقنيات ومميزات العمارة الحمادية.....44-47

اولا :ادوات العمارة الحمادية.....44-45

ثانيا: تقنية بناء الجدران المتوازية.....46-47

خلاصة الفصل الثاني 48

الفصل الثالث : دراسة مداخل الابواب مع أخذ نماذج للدراسة والتحليل.....50-73

تمهيد.....50

المبحث الأول: دراسة تاريخية للقصور الحمادية في القلعة وبجاية.....51-55

أولا : أهمية مداخل قصور الحمادية.....51-52

ثانيا:أهمية مداخل قصور الحمادية.....52-54

ثالثا: أهم أبواب مدينة بجاية 54-55

المبحث الثاني : العمارة في القصور الحمادية القلعة وبجاية.....56-72

اولا : تنوع وتعدد القصور الحمادية.....56-60

ثانيا: المباني والزخارف والهندسة الدينية والمدنية.....61-72

خلاصة الفصل الثالث 73

الفصل الرابع: الدراسة الفنية والجمالية للمداخل.....75

تمهيد.....75

المبحث الأول : دراسة فنية للقصور الحمادية في القلعة وبجاية.....76-86

أولا-التصميم والهندسة 76-77

ثانيا-العناصر المعمارية.....77-80

ثالثا : القصور الحمادية في القلعة وبجاية:.....81-86

المبحث الثاني :المخلفات الأثرية.....86

أولا : أهمية المخلفات الأثرية.....86-87

ثانيا : مواد بناء القصور الحمادية.....87-90

ثالثا: تكوين الوحدات المعمارية.....90-95

رابعا:التدرج في البناء (الجدران).....96-97

خلاصة الفصل الرابع.....**98**

خاتمة.....100-102

الملاحق.....104-114

قائمة المصادر والمراجع 116-120

فهرس المحتويات.....122-125